الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي _صالحي أحمد _النعامة Naama University Centre Salhi Ahmed Ahmed

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

التَّمرد في الشعر العباسي بين الخصائص الأدبية والأبعاد النّفسية – نماذج مختارة -

ميدان: *اللغة والأدب العربي* **شعبة:** *الدراسات الأدبية* **تخصص:** *أدب عربي حديث ومعاصر*

• **إشراف الأستاذ:**

- **بكري هشام**

• **إعداد الطّالبة:**

- **بوحدي إيمان**

لجنة المناقشة :

د . قيطون أحمد	**أستاذ التعليم العالي**	**رئيسا**
د . ساعد علي	**أستاذ مساعد صنف - أ -**	**ممتحنا و مناقشا**
د . بكري هشام	**أستاذ محاضر صنف – أ -**	**مشرفا**

الموسم الجامعي 1445هـ الموافق2023م -2024م

C.U.N
المركز الجامعي بالنعامة
CENTRE UNIVERSITAIRE DE NAAMA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : بوحدي ايمان

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم :

الصادرة بتاريخ : 11001/100101000 9

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب و اللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : التمرد بين الخصائص الأدبية و الأبعاد النفسية "نماذج مختارة"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2024/05/29

توقيع المعني

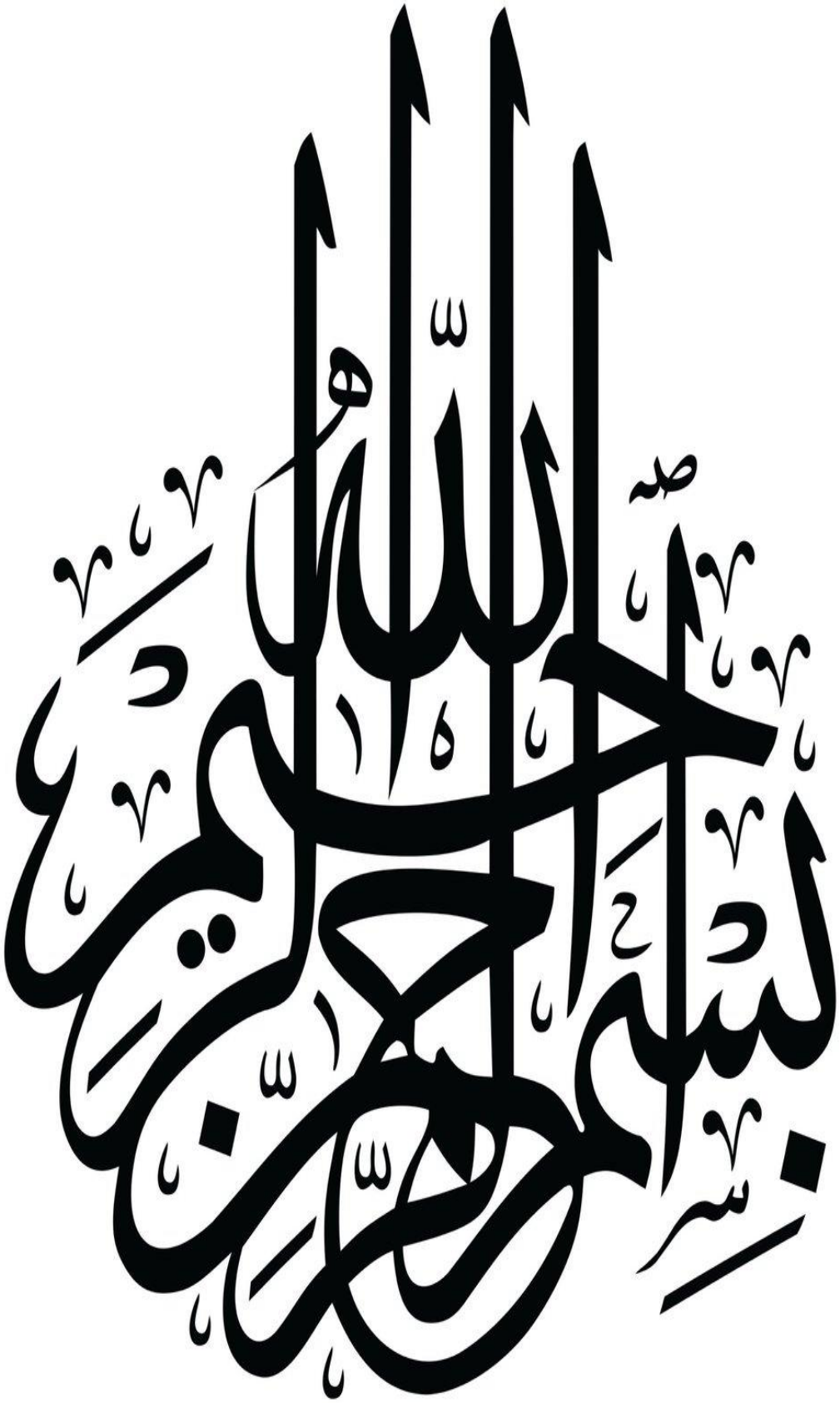
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

قال الله تعالى : " لئـــــن شـــــكرْتم لأزيدنَّكـــــــم ".

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" من لم يشكر النَّاس لم يشكر الله " .

نشكر الله و نحمده حمدا كثيرا مباركا على هذه النعمة الطيبة و النافعة

نعمة العلم و البصيرة .

أما بعد : يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل و العرفان إلى أستاذي المشـــــرف

"بكري هشام " على تفضله بالإشراف على هذه المذكرة و كل المجهودات

التي بذلها .

كما لا أنسى في هذا المقام تقديم الشكر للجنة المناقشة التي منحتني من وقتها

و أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي ، و إلى كل من

قدم لي يد العون لإتمام هذا العمل .

بوحدي إيمان

إهـــداء

الحمد لله دائما و أبدا على توفيقه لي في إتمام مذكرة تخرجي

فبعدما كانت مجرد لفظ يقال ها هي الآن ثمرة أتعابي بين يدي في أبهى

حلة لها فقد كانت أجمل تجربة أمر بها في مشواري الدراسي و ستبقى ذكرى

لي على مدى الأيام تحتضن بين ثناياها ما حصّلته من علم و ما اكتسبته من معرفة .

و بعد أهدي عملي هذا إلى :

- عماد الأسرة و تاجها الذي ضحى لسبيل راحتي (أبـــي حبـــيـــبي) .

- من أفـــنت عمرها لحصاد ثمرة نجاحي (أمي غالـــيتـــي).

- إخوتي الذين كانـــوا سنـــدا لي في هذه المرحـــلة .

- إلى أختي صباح و إسراء و سماح و دعاء و سعاد اللواتي كنّ

عونـــا أدامهم الله لـــي .

بوحدي إيمان

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له و من يُضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده و رسوله، اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا محمد و على آله و صاحبه و من اهتدى بهديه إلى يوم القيامة.

أمّا بعد :

أرَّخ التّاريخ عبر الزّمن بحروف من ذهب أصواتاً شعريةً لعبت دوراً هاماً على واقع القصيدة العربية و كانت و لازالت الأصوات المتمردة من أهم الأصوات التي جعلت النّص الشّعري يبدع، فبفضل إدراكهم لأهمية الكلمة و وظيفتها تمكنوا من إدراك الواقع الثقافي العام، إذْ جعلوا صلة بين الإبداع و آفاق المستقبل فقوة إيمان الشّعراء بالتحرر و الابتعاد عن الذّوق التقليدي و حبهم في التجديد و تجاهلهم للقيم و الأعراف التي اعتاد عليها الناس، كل هذا كان منطلق من العالَم النّفسي للشاعر في العصر العباسي الذي كان صدى في نزعته آنذاك. إذن فيُعرف التّمرد على أنّه انتفاضة و رفض في تنفيذ الأوامر و يمكن تعريفه أيضا على أنّه مجموعة من أنماط السّلوك الاجتماعي الموجه إلى أشكال السّلطة المختلفة للخروج عليها و إعادة بنيتها وسمات مظهرها بالشّكل الذي يخدم الفعّالين و يحقق أهدافهم فبفضله استطاع شعراء العصر العباسي التّغيير في مجتمعهم و آمنوا به حتى جعلهم أشخاص مجددين واثقين بفكرة التّحرر من التّقليد حيث تركوا بصمتهم التي جعلت التّاريخ يؤرخها بحروف من ذهب .

و ترجع أسباب اختياري لهذا البحث جملة من الأسباب الذّاتية و الموضوعية، و لعل حبّي للاطّلاع و ميلي لهذا الشّق ألا و هو موضوع التّمرد و انجذابي له لمساهمته في تّجديد القصيدة العربية خاصة أنّه كان منتفضا على المقدمات الطّللية، كما ساعد الشّاعر في التّحرر من الأغلال التي كانت تُقيده للتعبير أكثر و التّصوير بدقة، لننتقل للموضوعية التي دفعتني لقراءة ما جاءت به طبيعة شعراء التّمرد و إنتاجهم لفن شعري لا نظير له تاركين بصمتهم في سجل القدامى و المحدثين .

و يبدأ موضوع دراستي هذه من الإشكاليات التّالية:

- أين تكمن مظاهر التّمرد في النَّص الشّعري لدى الشّعراء العباسيين؟ و ما مدى تأثيرها في الخصائص الأدبية؟ و ما هي أبعادها النّفسية؟

و للإجابة عن هذه الإشكاليات قمت برسم خطة بحثية تتمثل في : مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة .

تناولت في المدخل لمحة عن العصر العباسي و مدى تأثير الحياة السّياسية و الاجتماعية على شخصية الشّاعر و شعره ، كما ذكرت اتجاهات و خصائص الشّعر في العصر العباسي .

أما الفصل الأول فعنون ب: "التّمرد من المفهوم إلى الأبعاد و الأنواع"، قدمت تعريف عن التّمرد و أهم أنواعه و يشمل هذا الفصل ثلاثة مباحث جاء الأول موسوما ب:" مفهوم التّمرد في اللغة و الاصطلاح و في العصر العباسي بصفة عامة"، أما المبحث الثاني المعنون ب "أنواع التّمرد في العصر العباسي"، و المبحث الثالث عن "الأسباب التي أدّت إلى التّمرد" .

و الفصل الثاني كان تطبيقيا تحت عنوان "التّمثلات الأدبية في شعر التّمرد "، و يشمل أيضا هذا الفصل ثلاثة مباحث ، جاء الأول موسوم ب : " التّمرد بين الرُؤى النّفسية و الرموز الأدبية " حيث قدمت فيه بعض من نماذج الشّعراء المتمردين على المقدمة الطّللية و أثرهم النّفسي على ذلك، أما المبحث الثاني تطرقت إلى "السّجن و أثره النّفسي في شعر أبي نواس"، و ختمت الفصل بمبحث عنونته ب: " فنّ المعارضات و تجلياتها الأدبية "، حيث وضحت بعض من الخصائص الفنية التي خَصّها الشّاعر العباسي في قصائده.

و أنهيت بحثي بخاتمة عددت فيها مجموعة من النقاط استخلصتها من مباحث ذكرتها .
أما عن المنهج فقد اعتمدت على المنهج النفسي و التحليلي كأداة و ذلك بعرض نماذج من قصائد الشعراء الذين برزوا في التّمرد، و استخراج الخصائص الفنية التي صورت بدقة دواخل الشّاعر النّفسية معتمدة على جملة من المصادر و المراجع نذكر منها:

- أبو العتاهية، الديوان، شرح: وفاء الباني قمر ، إشراف: حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت، ط01 ب2003 م .

- عباس محمود العقاد، أبو نواس، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ، د .ط، 2012م .

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم المحيط، دار الحديث للطبع و النشر و التوزيع القاهرة ، د .ط ، د.ت .

- بشار بن برد، الديوان، تقديم : صلاح الدين الهواري، منشورات الدار و مكتبة الهلال، بيروت ، ج 03 ط01 ، 1998 .

و من الصّعوبات التي واجهتني في دراستي وفرة المادة العلمية و تشعُّب فروعها و صعوبة الإلمام بها خاصة و أنّ موضوع الدّراسة كان يتطلبُ مني حصره في الخصائص الأدبية و الأبعاد النّفسية.

و في الأخير أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل " بكري هشام " و أتمنى أن يكون عملي هذا قد نال منكم القبول و الإعجاب ، راجيةً من الله عز وجل التوفيق و السّداد .

بوحدي إيمان

النعامة 10-05-2024

المدخل:

تمهيد :

يُعدّ العصر العباسي [132هـ، 656هـ] من أهم العصور الإسلامية على الاطلاق، و هو عصر التَّحول و الانفتاح و التّعارف بين الشُّعوب ، فشَهد الأدب العربي في هذا العصر تطورا كبيرا حيث حظي باهتمام كثير من الدَّارسين و مؤرخين الأدب، " و فيه ازدهرت الحياة العقلية ازدهار كبيرا، و تلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثَّقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في أثرها في العلم، و الأدب و الثَّقافة[1]"، فتَغيُر المجتمع العباسي كان تغيُرا جذريا في مختلف مناحي الحياة و جذورها السياسية و الاجتماعية و الفكرية ، كما برز في هذا العصر العديد من شعراء المجون و الزَّندقة فاستطاعوا أن يُثبتوا وجودهم و أنْ يقوموا بدور ملموس في كلتا الحياة السّياسية و العلمية للمجتمع بتمردهم و معارضتهم للسّلطة و الأدب و نبذهم لتقليد شعراء سبقوهم .

أولا: تأثير الحياة السّياسية و الاجتماعية على شخصية الشّاعر و شعره :

أ - الحياة السّياسية :

لقد تَميزت الحياة السّياسية في العصر العباسي بأنّ غلبة الطّبع الفارسي على الطّبع العربي و ذلك بسبب اعتماد العباسيين على الفرس لإقامة دولتهم و عودة هيبتها فأخذوا عنهم نظام الحكم و تنظيم الوزرات، و لم تقتصر على هذا الأمر فقط بل قلدوهم في اللباس و الأزياء سواء للرجال أو النّساء و هذا الأمر قضى مضاجع الشّعراء و كان سببا كافيا لتمردهم على السّلطة السّياسية لِما وضَّحته من تفرقة و تمييز بين العرب و الفرس ، و " لكي تستطيع فهم الحياة السّياسية و تأثيرها على الشّعراء يجدر بنا الإشارة إلى العصر العباسي و ما رافق مسيرته من تطور و تَغيُر و انفتاح و تجديد في الأفكار التي طرأت عليه و ما سبقه من صراعات تزامنت سقوط الدولة الأموية و ما واكب ذلك من توازن و خطط و مكان أوقعت بالدولة الأموية ، و كذلك الصراع بين العباسيين و العلويين على الحكم و الخلافة ، و لم تلبث سياسة الأمويين أن أغضبت طوائف كثيرة من العرب و الموالي على السّواء[2] ". و قد كان هذا تأثيرا على الشّعراء و برز ذلك في ثورتهم و سَخطهم على الحكم .

[1] محمد خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء للطبع و النشر ، مصر، ط 01 ، 2004 ، ص 26 .

[2] عروة عمر ، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د .ط ، 2010 ، ص 08 .

ب - الحياة الاجتماعية :

أصبحت الحياة الاجتماعية في هذا العصر حياة ترف و رفاهية و نعيم و كاد الأمر كله يشْمل جميع طبقات المجتمع حيث ظهرت عدة مظاهر في العصر العباسي كقولنا بروز طبقتين متعاكستين أولها تنعم بالرّخاء و أخرى تجد صعوبة في قوتها اليَومي، كما لُوحظ ازدياد حركة العمران كبناء القصور و المساجد الفخمة و تزيين العاصمة بزينة تميزها عن مدينة أخرى وتفاقم الشّعوبية التي لم يقتصر الأمر فيها بالتَّمييز بين العرب و الفرس بل تعدى إلى التَّفضيل بين العرب و غيرهم من أبناء الشُّعوب ، لا ننسى بالذّكر انتشار المجون و الانحلال بسبب الاختلاط و مع ذلك لم يبنى هذا المجتمع على اللهو و المجون فقط، بل كان مجتمع إسلامي تحكمه قيم متمسكة بفرائضه و شعائره، " و في هذا العصر ينغمس العباسيون في ترف و غناء من كل صَوْب ، و تصبح قصورهم مضرب المثل في بهائها و رونقها فقد بنى المنصور قصر الخلد[1] " ، و ما ميَّز هذا العصر عن غيره تطور مجاله الزّراعي و التّجاري، فقد ساعدت هذه المظاهر في تمرد الشّعراء وشجاعتهم أكثر على المجون و الزَّندقة و لا نقصد كل الشُّعراء فكانوا البعض منهم من الذين سخطوا على مظهر اللهو و التّرف و الانحطاط .

ثانيا : اتجاهات الشّعر في العصر العباسي :

قد عرف العصر العباسي اتجاهيْن شعريْن متباينيْن : الأوّل ينهج طريقة القدماء و الثّاني يُحاول الظّهور بنهج جديد من الشّعر بكونه مختلفا يعبر عن عصره و مشاعر أصحابه .

أ- الاتجاه القديم :

نعني به المحافظة على منهج القدماء فيقوم الشَّاعر بنَظم قصيدته بأغراض مأخوذة من النّموذج الجاهلي الذين وضعوا قواعد يسيرون عليها و كأنَّهم لا يريدون من الشّعراء التَّخلي عن ذلك المنهج ، بل ظلُّوا يبعثون فيهم إيمان أن الشّعر القديم هو القدوة المُثلى ، و يمكننا القول أن التَّيار القديم اتَّخذ مظهرين أوله أنَّ أغلب شعراء هذا التّيار خضعوا له و خاصة في شعر المدح على سبيل المثال بشار بن برد . أما المظهر الثَّاني فوُجد به شعراء لم تكن لهم صلة قوية بالحواضر فأغلبهم من البدو و الرحل الذين يعيشون حياتهم في صحراء بعيدين عن الحركات الثقافية و مراكز الحياة العقلية .

[1] علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، السفر الثالث، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،دمشق ط 01 ، 1989 ، ص 38 .

ب - الاتجاه الجديد:

ظهر الشّعراء المجددون المولدون في بناء العصر بنهج شعري جديد و ثقافة واسعة و الرغبة الجامحة في التّعبير عن عصرهم و مشاعرهم ، و كان الرّقي و الازدهار العلمي و الفكري دافعا محفزا لهم إلى البحث عن الجديد في الشّعر و أساليبه ، و على هذا النحو دفع التّحضر شعراء العصر العباسي إلى استحداث مولود جديد معتمدون على ألفاظ مبتدلة و أسلوب بين الغرابة و الابتدال محافظين على مادة اللّغة و مقوماتها التّصريفية و النّحوية ، و بشار في طليعة من أرصوا على هذا الأسلوب الجديد الذي تميَّز بالرّصانة و الرّونق و تلاه جيلا من الشّعراء مثل مسلم بن الوليد و أبي تمام و أبي العتاهية و أبي نواس .

ثالثا : خصائص الشّعر في العصر العباسي :

تميزت قصائد شعراء العصر العباسي بعدد من السّمات البارزة نقوم بدراستها كالتّالي :

أ - من حيث الموضوعات :

اتَّسع مجال القول على صعيد الشّعر في أدب العصر العباسي تبعا لاتساع مناحي الحياة و تشعبها فتكاثرت الموضوعات التي تناولها الشّعراء فضلا إلى ذلك توسعهم في وصف ما يحيط بهم مثل وصف الرَّبيع لأبي تمام و البحتري، كما كان لوصف العمران و المدن و المنشآت حيز آخر في قصائد الشّعراء الذين واكبوا العصر و عرفوا حياة البلاط و مجالس الأمراء. و من الموضوعات الجديدة على هذا الصعيد الشَّعبي وصف ابن الرومي لبسطاء النَّاس وكادحيهم و براعة ما كانوا يمتازوا به مُعظمهم في مهنتهم كوصفه للخباز و الحمال .

ب - من حيث المعاني :

ففي بداية ما طرأ على معاني الشّعر العباسي من تطور على صعيد آخر أنَّها انتقلت للرقة و العذوبة بفضل غلبة الأذواق ، فاتَّسمت في جانب منها بالابتكار و العمق و ذلك بفضل توسع العقل العربي و آفاقه ، إذْ كان لشِعر الغزل و شعر الوصف نصيب وافر من الحداثة التي أغْنت الشّعر العربي و زادته رونق ، فاخترعت المعاني و ابتكرت الصّور و نفذت الرؤية و اقتحمت ألفاظ و اصطلاحات فلسفية على الشّعر كالجوهر و العرض و الشَّك و اليقين مثل شعر أبي العتاهية :

لِلكُلِّ إنسانٍ طَبيعَتـــانِ خُيرٌ وَ شَرٌّ وَ هُما ضِدّانِ

و كُلُّ شَيءٍ لاَحق بِجُوهَره أَصْغرهُ متَصل بِأَكْبـــرهُ [1]

ج - من حيث المبنى الشّعري و اللّفظ :

من هذا الجانب تعرض الشّعر لتغيير ملموس في نماذجه سواء على صعيد الأوزان و الأسلوب فقد مالت القصائد إلى القصر و صارت المجاملات على الألسنة لا سيما في مجال الغزل و الهجاء و الزهد و الحكم ، فقد جددوا في القوافي تخفيفا من وِطأة القافية الواحدة الغالبة ، و استتبع هذا المنحى إيثار الألفاظ السَّهلة حين كادت تنحصر الغرابة اللّفظية لدى بعض الفِئات .

د - من ناحية الأسلوب :

و من ناحية الأسلوب من جهة أخرى غلبت الصَّنعة على مبنى الشّاعر و أجبرته على التزويق و التنميق فكثرت الزّخارف اللّفظية و المحسنات البديعية، و يُعد أبو تمام و ابن المعتز على رأس أصحاب هذا المذهب الفني، كذلك اكتسب الخيال غُني و مضاء و اتَّسم بالتَّلوين و التعقيد و خرج التَّشبيه عن المألوف و بساطته المعهودة ، و حين يسود أبو تمام وصف الطبيعة مستخدما الأضداد لقوله :

مطرٌ يذوب الصَّحوُ منه و بعدهُ صحْوٌ يكادُ من الغضارةِ يُمطرُ [2]

فبالإجمال قد كتب الشّعر العباسي مواكبة لعصره الحضاري ، و قد أعطى الكثير من الملامح الجدة حتى يمكن القول أنَّه بفضل ما انطوى عليه من جمال التّعبير و ترافة التّصوير و سمو الخيال و سعة الثّقافة و غِنى الفكر فنا مخالفا مزدهرا ، و عاش عصره الذهبي الذي أزخم بالتّمرد و المعارضة و هذا ما سنتطرق إليه في دراستنا، دون نسيان ذكر أبرز شعراءه و الخصائص الذي اتَّسموا بها .

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف، القاهرة ، د .ط ، 1966م ، ص 241 – 242 .

[2] حبيب بن الأوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، تحقيق : د. محي الدين صبحي ، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ج 01 ، ط01 ص 333.

الفصل الأول :

التَّمرد من المفهوم إلى الأبعاد والأنواع.

تمهيد :

يُعد التَّمرد من أكثر المفاهيم تفرعا و عمقا ، و هذا لتباعد الآراء بين المعاجم العربية حوله فالتَّمرد لا يُمكن حصر مفهومه من خلال صيغة أو عدة صيغ ، لتوسع معناه و عمق مضامينه خاصة الجانب الاصطلاحي فنجد كل باحث يُقر و يَتبع تعريفا متعلق به ، و للغَوْصِ أكثر في مفهوم التَّمرد فإنَّنا نَقف عند مدلوليْه اللُّغوي و الاصطلاحي ، إذن فهو يَنْفتح على أكثر من مجال بين اجتماعي و نفسي إلى فلسفي ... إلخ.

أولا- مفهوم التَّمرد:

تعددت مفاهيم و معان التَّمرد في اللُّغة العربية ، و بذلك اطَّلع عليه كل من اللُّغويين و الفلاسفة و أدلوا به كل حسب منظورهم .

أ - التَّمرد في اللغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور حول مفهوم التَّمرد لغة " من مردَ على الأمر ، يمردُ ، مروداً، فهو ماردُ و مريدٌ و تمردَ : أقبل و عتاَ الماردُ من الرجال : العاتي الشَّديد ،و المرودْ على الشيء : المرون عليه، و مردَ على الكلام أي مرنَ عليه لا يعبأ بهِ . قال الله تعالى :{ وَ مِنْ أَهْلِ المَدينَة مَردُوا على النِّفَاق } ، و مَرنُوا عليه، كقَوْلكَ تَمَردُوا [1] " .

أما معجم العين فيُرد معناه إلى: "مرد على الشّيء عتا و طغى [2] " . قال تعالى: { مَرَدُوا عَلى النِّفَاقِ } [سُورة التَّوبة ، الآية 102] " أيْ مرَدُوا و اسْتمروا عليه ، و منه يُقال : شيطان مُريدٌ و ماردٌ ، و يقال تمرَّد فلان على الله أي عتا و تجبَّر [3] " .

كما نجد في معجم المحيط لمجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: يُدِل على معنى التَّمرد في قاموسه من " مَرَدَ ، كنصَر و كَرُمَ ،مَرودًا، و مُورَادةٌ ، فهو مَارِدٌ و مريدٌ و مُتَمَرِدٌ : أقْدَمَ و عتَا،أو هو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصّنف ، من مَرَدَة ، و مراد ، و مرده : قطعة و مزق عرضهُ ، من مرُنَ و استمر و الثّديُ : مرسه ، و خبز ماثه حتى يلين .و الأمراد : الشاب طرَّ شاربه و لم تنبت لحيته . بناء مردٌ مطوَّلٌ . و المارد : المرتفع ، العاتي قويرة مشرقة من أطراف خياشم الجبل المعروف بالعارض و حصن بدومة

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج : 03 ، 1955 ، ص400 .

[2] الفراهيدي ، كتاب العين ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب اللبنانية العلمية، لبنان ، مج: 04 ، ط 01 ، 2002م ، ص 132 .

[3] ابن كثير القرشي ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط 01 ، 2000م ، ص 904 .

الجندل[1]". إضافة إلى تعريف معجم متن اللغة لأحمد رضا فكرر و ردد نفس معنى المعاجم السَّابقة للتَّمرد أيْ:" مرد : تَطاول في المَعاصِي و تمردَ ، عَصَى و عتَا .و يدل كذلك : مَرَدَ مَرُدَ و مرُودًا و مرَادة و مؤُودَةٌ ،عتَا و عصَى و تطاولَ بالكبر و المعاصي فهو مَارِدْ . ج : مردَة و مرّاد ، ج، مارَادء، و أصل المعنى التّمرن أَي الاعتياد أو أصله الانجراد و منه الأمر المنجود من الخير، و هو شيطان مريدٌ.{على المبالغة } [2] " .

من خلال هذه المفاهيم السّابقة نلاحظ تشابه في المعاني المعجمية للتّمرد و قد دلّت على عدة مفردات كلها ثورة و عنادا و هي : العصيان ، الطغيان ،الغضب، التّجاوز ، المعارضة ، التّجرد من الخير ... و هذه المصطلحات كلها تصُب في معنى دلالي واحد و هو الهروب من النّفوذ و القانون و السّلطة سواء أ كانت السّياسية أو الاجتماعية أو الدينية و الإخلال عنها ، و عليه ظهر التّمرد في معناه اللُّغوي بتوافق و تشابه الآراء و وجهات النّظر حوله .

إذن فمدلول التّمرد في اللُّغة العربية هو ما يقابله في اللُّغة الفرنسية ، فيُعرف عند الأجانب أنَّه : " لفظ (révolt) الذي تقترب منه كلمة (R E B E LL I O N) العصيان ، لكونهما يدلان على نفس المعنى ، في حين تدل كلمة (I N S T RR E C T I O N) انتفاضة و تعني دائما العصيان المسلح ضد السّلطة القائمة [3]"، أي التّمرد هو العصيان بصفة عامة و هذا ما أدلَّ عليه النّاقد و المترجم محمد يحياتن بحيث قال أنّ التّمرد : " ينطوي على مفهوم العصيان و هي إحدى سِمات العنف باعتباره رد فعل عنيف اتِّجاه حالة معينة تستثير غضب الإنسان الذي يحياها أو يعاني منها [4]" .

ب - التمرد في الاصطلاح :

لقد اشتمل الجانب الاصطلاحي لمفهوم التّمرد جميع جهات الحياة و توسعاتها خاصة الثّورة على الوضع الإنساني ، و هذا ظهر عند عدد كبير من الأُدباء و المُفكرين ، فالمدلول الاصطلاحي أفسح و أوسع غاية من المدلول اللّغوي . و في هذا يقول " بول فيولكييه" (P O W E LL F IO L K I) : " التّمرد هو الوقوف ضد السّلطة الحاكمة ، و هو أيضا الرفض العارم للوضع الإنساني [5] " . و أيضا يقول " ألبير كامو " : فالتّمرد إذا

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، معجم المحيط ،دار الحديث للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ، د .ط ، د.ت ، ص 1521-1522.

[2] أحمد رضا ، معجم متن اللغة ، موسوعة لغوية حديثة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، مج : 05 ، ط : 05 ، 1990 ، ص 273 .

[3] عبد النور جبور ، سهيل إدريس ، المنهل قاموس فرنسي عربي ، دار الآداب ، بيروت ، د. ط ، 1980 ، ص 871 .

[4] أدونيس ، أغاني مهيار الدمشقي و قصائد أخرى ، دار المدى للطباعة و النشر ، دمشق –سوريا - ، ط 01 ، 1996 ص 172.

[5] محمد يحياتن ، مفهوم التمرد عند ألبير كامو و موقفه من الثورة الجزائرية التحريرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د .ط ، 1984 ص 20 .

حركة الحياة بالذَّات ، و أن لا سبيل لنا إلى نسيانه دون التّخلي عن الحياة ، إذْ أضفى صرخة من صرخاته التي تطالعنا كل مرة بكينونته [1] ". حول هذا الصدد فإنّ التّعريفين يدُلان على منع الإنسان كل أنواع الطّغيان و الظّلم الذي ينبثق من المنزلة المسيطرة ، و اعتراض كل القوانين التي تمسُ الإنسان و المجبورة عليه بالقوة و هذا بمعنى إرادة الإنسان في الصّوغ من مخاضِه الاجتماعي و السّياسي و الثّقافي.

حول هذا يعرفه أيضا عبد الرحمان بدوي أنّه : "حركة عاطفية تفتقر إلى الرّؤية الواضحة ، و هي حركة لا نتيجة لها في الواقع و تختلف عن الثّورة من حيث التَّنظيم و الأهداف [2] "،و في المعجم الفلسفي يُعرفه الجرجاني : " ارتكاب أمرٌ غير معلوم الفائدة ، و قيل ما ليس فيه عرض صحيح لفاعله [3] " .

و بناء على هذه التّعريفات فإن التّمرد ينحو نحو الانقلاب على الأوضاع السّائدة سواء أ كانت اجتماعية أو دينية أو عُرفية أو سُلطوية جراء أسباب معينة تقود المتمرد إلى التّمرد .

و نذهب إلى تعريف آخر يتبيّن من خلاله أساس التّمرد الذي يكسر كل الغايات الثّابتة فيقول [محمد أحمد العزب]من خلال أطروحته {ظواهر التّمرد في الشّعر المعاصر } على أنّ التّمرد " في أساسه احتجاج على اللامعقول الذي يستشعره العقل البشري في مواجهته لحوائط الوجود الكثيفة [4] " .

و من هذا المنطلق نجد أن التّمرد من ناحية أهميته ظلَّ بين فكرتين متعارضتين الأولى أنّه كان سبب في التَّجديد و كان ضد الوضع الاجتماعي الإنساني ، و هذا من خلال ما تطرقت إليه في التعريف الاصطلاحي ، أما الفكرة الثانية فتصرح بأنّ لا أهمية له و أفصحت بعدم فائدته و جدواه ، و من جانب آخر فإنّني أرى أنّه كان مقدمة لتجديد القصيدة العربية .

[1] ألبير كامو ، الإنسان المتمرد ، ترجمة : نهاد رضا ، دار منشورات عويدات ، بيروت ، ط . 03 ، 1938 ، ص 377 .

[2] عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، دار الثقافة ، بيروت ، ط.03 ، 1973 ، ص 178.

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 02 ، 1982 ، ص 52 .

[4] محمد أحمد العزب ، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ،{ رسالة دكتوراه ، تخصص: أدب عربي } ، قسم الأدب و النقد ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، أسيوط ، د.ت ، ص 12 .

ثانيا- التمرد في العصر العباسي :

استطاع التّمرد في هذا العصر أن يشمل مختلف الميادين كالتّجديد في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و أيضا العمران ، فشاعت بينهم الفاحشة و المُجون و التَّطاول في الألفاظ و الكلمات و من أبرز شُعراءه أبو نواس و غيره ، فأقاموا شعر المجون الذي كان مضادا للشِّعر العفيف ، و من هنا تَخلوْ عن المقدمة الطّللية و استبدلوها بالمقدمة الجديدة ، و هذا ما ظهر في قصيدة آلام الخمر لأبي نواس :

أثنِ على الخمر بآلائها و سمّها أحسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا و لا تسلّطها على مائهـــا [1]

و للبحتري قصيدة غيّرت من معاني و ألفاظ العرب بحيث أصبحت لها جمال و معان :

و اللفظُ حلى المعنى و ليس يُري ك الصفر حسنا يريكه ذهبه [2]

ثالثا - أنواع التَّمرد في العصر العباسي :

التَّمرد في العصر العباسي لم يكُنْ موجها للسّلطة فقط إنما تعدّى إلى صور أخرى و من الطبيعي أن يتأثر الشّعراء بهذا الواقع ، فالشّاعر ابن عصره ، كان التّمرد وثيق الصّلة بالواقع المُعيش و يُعبر عن قلق الإنسان فيه، أين ازدهرت الحركة المعرفية الأدبية و بالتّالي أسهم هذا الأخير ظواهر أدبية جديدة . فانْطوت أنواع التّمرد من جوانب عدة أهمها :

أ - التّمرد النّفسي :

هو ذلك الشّيء الذي يجعل الشّاعر يهرب من واقعه المليء باليأس و خيبة الأمل ، فيجد الشّاعر نفسه محاربا للمعايير المحيطة به، و قد يكون كذلك تمردا على الذّات ، فيخرج مكبوتاته و رفضه لواقعه المُعيش في كتابة أشعاره التي تُعد وسيلة للتعبير عن ذلك ، فيكون الشّعر في معظم الأحيان ترجمة للحالة النَّفسية و الشّعورية للشاعر ، و الإيقاع في النّص الشّعري و إيقاع النّفس في قلقها و توترها و هي تواجه ألم الكتابة

[1] أبو نواس ، الديوان ، عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، د. ط ، 2007م ، ص 08 .

[2] حسن كامل الصريفي ، ديوان البحتري ، دار المعارف ، القاهرة ، مج : 01 ، ط 02 ، 1119 ، ص 14 .

و إبراز لمشاعر الألم و الحزن الذي يعيشه الكاتب ، فيتشكل للقصيدة بعدا نفسيا كان له الدور البارز في تكوينها "[1] ، و هذا ما انطبق على الشّاعر بشار بن برد في قصيدة من قصائده و هي :

دع ذكر عبدة إنه فنـــــدُ و تعزّ ترفدُ منكَ ما رفـدوا

ما نوّلتك بما تطالبـــــها إلّا مواعد كلّها فنـــــــدُ

فاسكن إلى سكن ، تسرُ به ذهب الزمانُ و أنت منفردُ

قد شاب رأسك في تذكّرها و هنا الفراق و رقّت الكبدُ [2]

فمن هنا يتضح لنا أن الشّاعر في صراع مع ذاته ندما لحبه و شغفه و ربطه لآماله بامرأة خالفت و خانت وعود كان يبني فيها أحلاما باء مصيرها بالخذلان فاشتعل رأس الشّاعر شيبًا و مضى الزّمن به هرما و ودعه شبابه .

و عطفا على هذا الرأي نجد شاعرا آخر مثل أبي العتاهية يخوض مضمار التّمرد الأدبي من ناحية أخرى بعيدا عن التّمرد السّياسي و الدّيني ، فهو ما يفتأ بتمرده على الحياة و ما تمنحه من لذات من مجون و لهو حتى يذكر النّاس بفناء الدنيا و قرب الآخرة ، إذن فهو يعلن تمرده عن القيم المشينة و القميئة و لذلك يسعى " إلى تقديم رؤية للحياة أو الكون من خلال نفسه بوصفها مفردا من مفردات الحياة ... "[3] يقول :

حتى متى يَسْتَفِزنّي الطَّمَعُ أ ليسَ لي بالكفَّافِ مُتْســـَـعُ ؟

يا نَفْسُ مالي أرَاكِ آمِنَـــةٌ حيثُ يكُون الرَّوْعاتُ و الفزّعُ[4]

و القول هذا وضح لنا جملة من النّقاط تأتي في مقدمتها شرح ما يحوزه الشّاعر بداخله من هلع و خيبات و هنا يتضح لنا التّمرد الواضح للشّاعر حول نفسه ، فخطابه لذاته جعله يبث و ينشر ما يستشعر به للمجتمع ناصحا إياهم بعدم تعلقهم بالحياة و الوثوق بها .

[1] ينظر ، عبد الله القاسمي ، الأبعاد النفسية و الجمالية و التعبيرية للإيقاع ،دمشق ، سوريا maaber. somegs.com/litrature6.htmail

[2] بشار بن برد ، الديوان ، تقديم : صلاح الدين الهواري ، منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت ، ج 03 ، ط 01 ، 1998 ، ص 90- 91 .

[3] عبد اللطيف محمد حماسة ، اللغة و بناء الشعر ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة ، د. ط ، 2001م ، ص 70 .

[4] أبو العتاهية ، الديوان ، شرح : وفاء الباني قمر ، إشراف : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط01 ، 2003م ، ص 147 .

لم يكنْ هذا التّمرد النّفسي على الدنيا عبثا بل جاء بناء على جملة من الأسباب نذكر في مقدمتها رغبة الشّاعر في إثبات ذاته و من ثمة ترسيخ القيم الحميدة في المجتمع .

ب - التّمرد الاجتماعي :

يُعد هذا الصّنف من التّمرد رفضا لمجموعة من القيم و الأعراف و التقاليد في العصر العباسي ، ف " هو محاولة فردية لتغيُّر الواقع الاجتماعي غير أن هذه المحاولة ، و بسبب فرديتها محكوم عليها بالفشل ، ذلك أنّ تغيُّر الواقع يحتاج إلى ثورة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي[1] " ، هذا ما عرفه { نزيه أبو نضال} ، فالخروج من مجتمع تربطه أعراف لابد من تكاثف جهود ليتحقق ذلك ، و يأتي أبو نواس مؤكدا ذلك في قوله :

لسْتُ بالتّارك لــــذَّا تِ النَّدَامَى للصَّـــلاحِ

قُلِ لمن يَبْغي صَلاحي ، بِعْتُ رشْدي بـطلاحي

أطيبُ اللَّذَاتِ ما كـا نَ جِهَارًا بافْتِـــضاحِ [2]

نجد الشّاعر متحديا لمجتمعه و أعرافهم و قيّمهم لأجل تلبية شهواته و رغباته الذّاتية ، و لم يكتف بهذا فقط إنما أعلن إباحيته و جهر بالمعصية دون رادع و لا رقيب ، فظهرت مكبوتاته النّفسية و دواخله السّيكولوجية الدفينة ، فما كان تمرده إلا اندفاعا و انبعاثا و إقداما غير محسوب العواقب تجلت في أفعاله و أقواله الدّاخلية و إخراج مكبوتاته حتى و إن كان ذلك مخالفا لقيمهم و مبادئهم الاجتماعية .

نضيف على هذا بشار بن برد الذي أفصح في قصيدته عن تمرده الذي دار بينه و بين مجتمعه ، " فقد رفض بشار التّقاليد الاجتماعية و بعض الأفكار الدّينية السّائدة ، فسخر منها و شكك فيها ، من جهة و بشر من جهة ثانية ، باللّذة أو بما يمكن أن نسميه حضارة الجسد ، و من هنا وَلَّد شعره معركة تدور حول التّحرر الجنسي ...[3] " .

و لو أمعنا النظر لوجدنا أن الشّاعر رفض القيم رفضا قطعيا للتّقاليد و الأفكار الدّينية السّائدة آنذاك و شكك فيها بل و أجهر باللذة و المعصية ، و قد ولَّد هذا في شعره معركة مفادها التّحرر الجنسي ، " فأحلّ

---

[1] نزيه أبو نضال ، تمرد الأنثى ، رواية المرأة العربية و بيبليوغرافيا الرواية النسائية العربية ، دراسات أدب نظرية أبو نضال ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، بيروت – عمان ، ط 01 ، 2004 م ، ص 25 .

[2] أبو نواس ، الديوان ، ص 161 .

[3] أدونيس ، الثابت و المتحول ، دار الفكر ، بيروت ، ج 03 ، ط 05 ، 1986م ، ص 170 .

القبلة واجتناء زهرات الجسد ، دون التفات إلى الناس و إلى عرفهم وألسنتهم ، فالحياة فرص و استمتاع جسدي بل هجوم على هذا الاستمتاع و ما يطوي فيه من لذَّة ..."[1] ، كانت وجهة نظره مؤمنة بالتّمتع وما يحمل من لذة . اتضح لنا أنّ هذا النّوع من أنواع التّمرد كان مبنيا على حياة اللهو المعمول بها و استهزائهم و كفرهم بقيودها فقد صمَّ الشّعراء عن النّصائح و الأقوال فبيَّنوا أنَّهم فقراء لا تهمهم إلا مقومات حياتهم الاجتماعية و المعيشية .

ج - التّمرد الديني:

عرف التّمرد الدّيني بخروج الشّعراء عن القيم الدّينية والإسلامية إلى أنْ وصل بهم بالاستهانة و السّخرية من هذه المبادئ وبيّنوا رفضها والتّمرد عليها ، وفي هذا الجانب نذكر بشار بن برد الذي تطاول أيضا على الدّين بتقديسه لإبليس كونه مخلوق ،و تفضيله على سيدنا آدم متعذرا أنَّه خُلق من طين لقوله :

إبليسُ خيرٌ من أبيكُمْ آدمُ فتَنَبَّهُوا يا مَعْشَرَ الفُجـــّارِ

إبليسُ مِنْ نارٍ و آدمُ طينةٌ والأرضُ لا تَسْمُوا سموَّ النَّارِ[2]

نُلاحظ أنّ هذا الشَّاعر أسرف في تمرده وأدَّى به إلى الكفر و قيل عنه " إنه كان مذبذبًا في دينه غير معروف المذهبِ ..."[3] ، و لا ننسى بالذكر تصريح أبي نواس على تحرره الدّيني فلقد أوقع به لهوه و مجونه إلى استهزائه بالقيم الإسلامية و كانت أبياته كلها تتضوَّع من رائحة الكفر :

يا ناظرًا في الدّين ما الأمـــــرُ لا قدرٌ صحٌّ و لا جَبْـرُ

ما صحَّ عندي من جميع الّذي تذْكُرُ إلا الموتُ و القبرُ[4]

من خلال ما تمَّ ذكره ، يخاطب الشاعر هنا فئة علماء الشريعة ، و يعلن شريعته الخاصة و رفضه الفصيح للديانة الإسلامية و مبادئها و يُصرح بعدم إيمانه بالقدر و البعث و الحشر ، فلا نقوم بالإجماع على أنّ كلَّ الشّعراء تمردوا على الديانة الإسلامية نأخذ أبو العتاهية مثلا مخالفا للشّعراء الذين تمردوا و طغُوا فيقول :

---

[1] شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، مصر ، ط 11 ، 1966 م ، ص 218 .

[2] بشار بن برد ، الديوان ، ج 04 ، شرح : م حمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د. ط ، 1976م ، ص 92.

[3] حسين عطوان ، الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ط 01 ، 1984 م ، ص 42 .

[4] أبو نواس ، الديوان ، ص 135 .

يا بائِعَ الدّينِ بالدُّنْيَا و بَاطِلهَا تَرْضَى بدِينكَ شَيئًا ليس يَسوَاهُ [1]

كتب الشّاعر قصيدته كرَدًا على المتطَاولين و بائِعين أديانهم بأشياء رخيصة لا تستحق أنْ يهجر المرء دينه داعيا إياه التخلي على ما هم عليه من انحراف و كفر .

و في سياق آخر نجدُ أنَّ الشَّاعر أبو العتاهية يتمرد على الذين يتمردون على القيم و تعاليم الدين ، و لذلك فإنَّه لا يتوانى أن يعلن تمرده ضد الطُغات الكافرين الذين لا يجدون حرجا في الخروج عن المِلة يقول :

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله أم كيـــــف يجْحـــد الجاحد

و في كلِّ شيءٍ لـــــه آيـــةٌ تدل على أنه واحـــــــــــــد

و لله في كل تحريـــــــــــكة و تسكينة أبدا شاهـــــــــد [2]

لو أمعنا النّظر في دراستنا هذه نجدُ أنّ جُلَّ الشُّعراء إن لم نقل كلهم كانوا مخالفين للدين و المبادئ التي تحكم سير سلوكات المجتمع ، فالشَّاعر هنا أصبح يتبع ما تقوله نفسه به و غايته الوحيدة الخروج عن الملة و الانصياغ عنها ملبيا ذلك الهجس الذي تبثه دواخله و تُخوِّلُه له ،فتقبل ذلك الشيء المستنكر نسبة للشعوب المقيدة بالإسلام ، فأثارت جدلهم و نبذهم للشعراء بتبنيهم هذا المنكر .

د - التّمرد الفني :

واصل التّمرد مشواره في العصر العباسي إلى أنْ اتَّضحت ظاهرة أخرى مسَّت الفن و من أهم ما اهتمت به المقدمة الطللية التي تُعد في الأصل تقليدا لشعراء الجاهلية ، و ظلَّت أبرز مميزات القصائد آنذاك ، فكان أبو نواس محاربا لشعاراتها و عمل على انتشار المقدمة الجديدة ، فقد شغر نفسه و وقته و جهده في الدعوة لها و إذاعة تعليمها ، كما سخَّر شعره لمحاربة و تحطيم الحياة القديمة و دعا إلى حياة و عقلية جديدة فيقول :

لا تبكِ رسما بجانب السَّندِ و لا تَجُدْ بالدُّموع لِلْجَـــرّدِ

و لا تُعرِّجْ على مُعَـــــطَّلَةٍ و لا أثافٍ خَلَّتْ ، و لا وَتَـــدِ

[1] أبو العتاهية ، الديوان ، تحقيق : عمر الطباع ، دار الرقم بن أبي الرقم، بيروت ، ط 01 ، 1997 ، ص 325 .

[2] أبو العتاهية ، الديوان ، شرح : وفاء الباني قمر ، ص 10.

و مِلْ إلى مجلسٍ على شَـرَفٍ بالكَرْخ بين الحديقِ ، مُعْتمدِ [1]

نرى من خلال قوله أنَّه نبذ افتتاح القصيدة بما كانوا يصفوه و استهزأ من المتمسكين بهذا التّقليد و ذلك لحب و ابتغاء الشَّاعر في التَّجديد على ما كانوا عليه في العصر الجاهلي من وصف الطبيعة و الأحـــوال الاجتماعية ، أما في العصر العباسي فقد بَعُد النّاس عن حياة البداوة ومعيشة الصحراء ، و أصبحوا يعيشون حياة حضارية و لا مجال هنا للارتحال ، ولا مجال للوقوف على الأطلال ... [2] "

إذن كن خلال هذا القول يظهر أن هذا التّمرد الفني جاء بغرض تحطيم عمود الشعر العربي .

رابعا - أبرزالأسباب التي أدّت إلى التَّمرد :

لم يكنْ التّمرد في العصر العباسي لهوا و عبثا إنما كان حاجزا لبعض السُّلوكيات و السِّمات التي سادت في هذا العصر الذي طغت فيه الفاحشة و اتصاف هذا المجتمع بخصائص ميزته عن غيره من المجتمعات الأخرى نذكر جملة منها :

أ - الطَّبقية : نجد في هذا العصر فئتيْن متضادتيْن منها :

1 - الفئة العامة : و تُمثل النّاس عامة من أصحاب الحرف و الصّناعات و العاملين في المؤسسات العامة و الخاصة في الدولة .

2 - الفئة الأرستقراطية : تتمثل في الطَّبقة الحاكمة .

مثلت هاتان الفئتان صور المجتمع في تلك الحقبة الزمنية "صورة التّرف ،و ما يطوى فيه من مجون و صورة الشظف ، و عيشة الكفاف ، و ما يطوى فيها من زهد [3] " .

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 176.

[2] ينظر ، يوسف خليف ، تاريخ الشعر في العصر العباسي ، دار الثقافة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، د. ط ، 1980 ، ص 81- 872 .

[3] شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 02 ، 2012، ص 435 .

ج - المبالغة في الإنفاق على الملذات :

دخلت عادات مغايرة على المجتمع العربي لاختلاطهم بالأجناس الأخرى كالفرس ، فكانت سببا لتعدد مظاهر الرفاهية الفاحشة للحكام و السَّلاطين فأسرفوا على ملذاتهم و أدَّى ذلك إلى إهمالهم الشديد لعامة الناس .

د - غزو اللهو و المجون :

كثرة الجواري كانت سبب مساهم و بقوة في انتشار المجون ، و لم يقتصر الأمر على هذا فقط بل تزوج بعض الحكام منهنّ ، إضافة إلى شيوع شرب الخمر و ممارسة الرذيلة .

و- الشعوبية :

و هي : " نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم ، و تحاول الحط منهم [1] ".

غرور الفرس و افتخارهم بحضاراتهم وسخريتهم واحتقارهم للعرب من طريقة نظمهم للقصائد و وقوفهم على الأطلال ، و بدأ التّمرد على تقاليد القصيدة العربية و مسايرة نظام البيئة الحضارية الحديثة .

هـ- اختلاط الأجناس و تنوع الثّقافات :

أدَّى اتِّساع الرقعة الجغرافية للدولة العباسية على تعدد الثَّقافات و تنوع الأجناس ، بالرغم من العوامل السّابقة إلَّا أنَّ الشّعر في هذا العصر تميز برُقي الفنون الأدبية في تلك الفترة : " على أنَّ مجتمع العباسية مجتمع - من حيث الشّعر – ثري خصب منتج معطاء ، تفاعلت فيه معاني الشّعر و موضوعاته و صوره و أساليبه و خياله و شخوصه [2] " .

لعبت الثّقافة الفارسية دورا مهما في هذه الحقبة فلقد شملت على زخرفة الألفاظ و تنميقها ، فتَصبغ عقل الشّعراء بأصباغ من العمق و التحليل و البعد في الخيال .

[1] إبراهيم أنيس و آخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، ط 02 ، 1492 – 1972 م ، ص 484 .

[2] مصطفى الشكعة ، الشعر و الشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 06 ، 1994 ، ص 20 .

الفصل الثاني :

التَّمثلات الأدبية في شعر التَّمرد

تمهيد :

عرف العصر العباسي ظاهرة التّمرد بكثرة و هذا يتّضح من خلال طائفة من الشّعراء العباسيين على رأسهم أبي نواس و بشار بن برد و أبي تمام و العتاهية و غيرهم . فقد تنوعت مظاهر التّمرد في العصر العباسي و تعددت ، حيث انقسم الشّعراء إلى قسمين :" قسم ظلَّ يتبع خُطى القدماء و قسم تحرر و انطلق وأراد أنْ يكون شعره مصدرا لخلجات نفسه، و صادرا عن بيئته و حياة عصره المختلف عن العصر الجاهلي و من هؤلاء أبو نواس[1]".

أولا - التّمرد بين الرُؤى النّفسية و الرّموز الأدبية:

مما لا عجب فيه أنْ تلقى شاعرا مثل أبي نواس يصْبو نحو التَّحرر و التَّمرد على المقدمة الطَّللية و استبدالها بالمقدمة الخمرية ، و ذلك امتثالا لمبادئ الثّورة على الشّعر و الشّعراء التّقليديين الذين يفتتحون قصائدهم بالوقوف على الأطلال و بكاء الدّيار و الأحبة فيقول :

قُل لِمَن يَبكي عَلى رَسمٍ دَرَس ... واقِفًا ما ضَرَّ لَو كانَ جَلَـــس

اِترُكِ الرَبعَ وَ سَلمى جانِبـــًا ... و اِصطَبِح كَرخِيَّةً مِثلَ القَبَـس

كَدَمِ الجَوفِ إذا ما ذاقَـــها ... شارِبٌ قَطَّبَ مِنها وَ عَبـــــَس [2]

و على هذا الأساس فإنَّ أبا نواس يسخر من الشّعراء المقلدين بل و يدعوهم إلى شرب الخمرة و التّخلي عن المقدمة الطّللية ، و هذا تعبيرا عن شخصية محاطة بنفسية مليئة بالمكبوتات التي تجسّدت في نتاجاته الأدبية و عطفا على هذا الرّأي فإن هذا الشّاعر المتمرد بكل ما تحمله الكلمة من معنى كان يسعى إلى إشباع حاجاته النّفسية الكامنة وراء الخلجات الملغزة، فهو" يريد التّوفيق بين الشّعر و الحياة الحاضرة بحيث يكون الشّعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة ، و معنى ذلك العدول عن طريق القدماء، لأن هذه الطّريقة تلاؤم القدماء و ما ألفوا من ضروب العيش ، فإذا تغيرت ضروب العيش هذه وجب أنْ يتغير الشّعر الذي يتغنى بها[3]".

[1] مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب في العصر العباسي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م ، القاهرة –مصر ، د .ط ، د.ت ، ص 28 .

[2] أبو نواس ، الديوان ، ص322 .

[3] طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 14 ، ج 02 ، د.ت ، ص 90 .

و من هذا المنظور الفن-سيكولوجي يروح أبو نواس في اتجاه الاستعلاء عن الشّعراء الذين يتماهون في القديم الذي ظلّ ردحا من الزمن يسيطر على العقول من دون جرأة أدبية تحاول زحزحة ما أصبح متعارفا عليه بل و عقيدة أدبية لا يمكن الخروج عنها .

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَ دَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الـدَّاءُ

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْزَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَـرَّاءُ

قَامَتْ بِإِبْرِيقِهَا وَ اللَّيْلُ مُعْتَكِـرٌ فَلاَحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي الْبَيْتِ لَأْلاَءُ

رَقَّتْ عَنِ المَاءِ حَتَّى مَا يُلَائِمُـهَا لَطَافَةً وَ جَفَا عَنِ شَكْلِهَا المَـاءُ[1]

كان أبو نواس يلتجئ دائما إلى الخمرة و يتغنى بها في معظم قصائده و يحارب بها المقدمة الطّللية ، فالخمرة لم تكن تمردا فقط تعبر عن تمرده بل كانت ممرا و جسرا يمرر من خلاله أفكاره التي لم يكن ليصرح بها لولا شرب الخمرة ، من جهة أثناء قوله للشعر ، و توظيفه للخمرة أدبيا و فنيا ، و من جهة أخرى من حيث كونها كانت تفتح له الأبواب من أجل أنْ يقول ما يريد أنْ يقول بدون حسيب و لا رقيب .

إنّ توظيف هذا المسكر كعنصر في القصيدة هو توظيف فني يستطيع من خلاله فتح الأبواب و الممرات التي تساعده على الإبداع من دون رقابة و لا رقيب. فالأولية في دمج الخمرة لَهُو من باب الجرأة التي تسمح له بخرق كل الطّابوهات و تجاوز الأعراف و القفز على التقاليد.

و بالرغم من هذا لم يكتف فقط بثورته على الوقوف على الأطلال و إنما كانت نزعته الشّعوبية بارزة في كثير من أشعاره ، فمذهبه الجديد " ليس مذهبا شعريا فحسب ، و إنما هو مذهب سياسي أيضا ، يذم القديم لا لأنه قديم ، بل لأنه قديم ، و لأنه عربي و يمدح الحديث لا لأنه حديث ، بل لأنه حديث و لأنه فارسي ، فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبية المشهور[2]".

اِنسَ رَسمَ الدِيارِ ثُمَّ الطُلولا وَ اِهجُرِ الرَبعَ دَارِسًا وَ مَحيلا

هَل رَأَيتَ الدِيارَ رَدَّت جَوابًـــا وَ أَجَابَت لِذي سُؤالٍ سُــؤولا

وَ اِشرَبَنَها كَأَنَّها عَينُ ديـــكٍ يَطرُدُ الهمَّ طَعمهَا و الغَلـيلا

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 07.

[2] طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص 90 .

هِيَ إذ ما تَلغلغَت في عُروقي عَجَّل الهمُّ عن فُؤادي الرَحيلا[1]

وفق هذا التّجديد الفني يذهب أبو نواس مذهبا في الاستهزاء و السّخرية و التهكم من الأطلال و يجعل من طلل الخمر تقليدا فنيا جديدا ، بحيث أصبح هذا التجديد تبيانا آخر على نرجسية مخبوءة داخل ثنايا الخطاب فهي و إنْ لم تظهر علنا، فإنها تتوارى خلف المكتوب و هي لا تحتاج إلا لقراءة جادة عميقة حتى تظهر العيان . و ما قوله الذي سيأتي إلا دليل على الافتخار المرضي و الاعتزاز بالنفس .

لَقَد زادني تيهًا عَلى الناسِ أنَّني أَرانِي أَغناهُم و إِن كُنتُ ذَا فَقرِ[2]

و قد خطّ أيضا بيتين لنفسه يتفاخر بملامحه و جماله في كل مرة :

تتيهُ علينا أن رزقت ملاحةً فمهلاً علينا بعض تيهك يا بدرُ

فقد طالما كُنَّا مِلاحًا و ربما صددنا و تهنا ثم غيرنا الدهـرُ[3]

لا يقتصر الجانب النّفسي في نتاجات أبي نواس على النرجسية ، و إنما تعداها إلى جانب آخر خفي أيضا فشعر أبي نواس يتخلله قلق نفسي يمتد أثره إلى الجانب الأدبي ، فالبوح بالشعر في كثير من الأحيان ما هو إلّا وسيلة لإبعاد الحزن و طرد القلق الذي كثيرا ما راوده ، إذن فهو " يتمرد و يشمئز رافضا الوقوف على الأطلال لأنّه وجد البديل القريب إلى طبعه و روحه (الخمر) و إلى سيرة حياته و أيام لهوه مستبدلا دعوته في ترك الطّلل بدعوته إلى شرب الخمر و القصف و اللهو[4]" فيقول :

وَ خَمّارةٍ لِلَّهوِ فيها بَقيَّـــــةٌ إلِيها ثَلاثًا نَحوَ حانَتِها سِـــــرنا

وَ لِلَّيلِ جِلبابُ عَلينا و حولَنـا فَما إِن تَرى إِنسًا لَدَيهِ و لا جِنّا[5]

و عطفا على هذا الحديث سُمي أبو نواس بشاعر الخمرة و لقب بالزعيم المجدد في عصره، و هو لقب يستحقه نظير ما قدمه للشعر من ناحية التّجديد الذي حمل لِواءه من حيث كونه ثار على القديم و القدماء بكل ما يملكه من قوة أدبية و فنية ونفسية ، مكنته من تحطيم أصنام الأعراف و التّقاليد و التّمسك

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 498 .
[2] عباس محمود العقاد ، أبو نواس ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، د. ط ، 2012 م ، ص25 .
[3] عباس محمود العقاد ، أبو نواس ، ص 64 .
[4] عروة عمر ، الشعر الجاهلي و أبرز اتجاهاته و أعلامه دروس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د. ط ، 2010 ، ص 124.
[5] أبو نواس ، الديوان ،ص 597 .

بالقديم خاصة أنّه " عاش في ظل الحضارة الفارسية التي ازداد تأثيرها في ذلك الوقت ، و تأثر بها العرب تأثرا كبيرا، ما دفعه و غيره إلى التّمرد على التّقاليد العربية فخرجوا على عادات العرب الاجتماعية ، فثورته كانت ثورة الحضارة الفارسية و كل ما اتصل بها من خمر و مجون على العرب و حياتهم [1]".

يا خَاطِبَ القَهْوَة الصَّهباء يمْهرُها بالرَّطْل يأخذُ منْها مِلَأَهُ ذهبَـــا

قصَّرتَ بالرَّاح فاحْذرْ أنْ تسمّعها فيحْلِف الكرْمُ أن لا يحْمِلَ العِنَبَا

إنّي بذلْت لَهَا لمَّا بصرْتَ بِهَـــــا صاعًا من الدُّرِّ اليَاقُوت ما ثُقِبَـا[2]

و إذا صار أبو نواس شاعر الخمرة ببراعة و امتياز ، فإنّ هذه الآفة بكل تجلياتها الجسيمة و انعكاساتها الدفينة تعبر عن دواخل نفسية منبعها الشّعور و اللاشعور ، فالمكتوب بما يحمله من رموز يعبر عن أفكار مخبوءة كانت تتسرب إلى النّص بما يعكس نفسية صاحبه .

و من هذا المنطلق السّيكولوجي نجد أن كثيرا من الصّور الشّعرية تعبر عن نفسية مضطربة ، ما تفتأ الكلمات تفضحه حتى تعاود الظهور إلى السطح لقوله " لقد زادني تيْها " ، إن هذا التمرد لا يعكس تمردا أدبيا فقط و إنما يعكس تمردا نفسيا له نبعات سيكولوجية مرضية و لو لم يكن الحال كذلك لما وصفه العقاد بالمريض النفسي الذي يعاني انفصام شخصي و شذوذ جنسي الذي بلغ بأبي نواس درجة التلبيس في الغلمان و الجواري فيقول :

و اِبأَبي أَلثَغَ لا جَجُتُهُ فقال في غُنجٍ و إخنـــاثِ

لمّا رَأى مِنّي خِلافي لَهُ كَم لَقِيَ الناثُ من الناثِ [3]

لقد جعل العقاد نرجسية أبي نواس مرض كبير و هي " شُذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشّذوذ في غرائز الجنس و بواعث الأخلاق تميل بصاحبها إلى العلاقة الطبيعية بين الذكر و الأنثى أو تميل إلى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد ، كما كان يحدث أحيانا من أبي نواس في غزله بالمذكر تارة ، و بالمؤنث أخرى ، و في الجمع أحيانا بين ما يزعمه عشقا لأكثر من فتاة واحدة . و ما يزعمه عشقا لأكثر من فتى واحد ، و لا أصل في النهاية للعشيقين غير النرجسية في قرارها العميق [4]" .

[1] العربي حسين درويش ، الشعراء المحدثون في العصر العباسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د. ط ، 1989 ، ص 87 .

[2] أبو نواس ، الديوان، ص 46 .

[3] عباس محمود العقاد ، أبو نواس ، ص 31 .

[4] نفس المرجع، ص 26 .

يقول في موضع آخر يصف شوقه و تعلقه بالغلام :

أيّها النَّاس ارْحَمـوني و تَمَشّوْا لي إلَيْـــهِ

كلِّموه في سُكـــــونٍ لا تَشُقُّنَ علَيْـــهِ

كَلِّموهُ اليَوْمَ يــرْضَى عَنْ أسيرٍ في يَدَيْــهِ

لوْ رَأَيْتُمْ حينَ يمشِي كاسراً من حاجِبَيْـهِ

في إزارٍ قد لَـــــواهُ ثُمَّ دَلَّى طرفَيْـــهِ[1]

عاش أبو نواس صراعا داخليا بين ذاته و ملذاته من خير و صلاح فقد أخذ يبحث عن الاستمتاع و التّلذذ بالمحرمات و يجدها شيئا طبيعيا تبعا للعصر الذي عاش فيه ، و هو عصر المجون و اللهو و الفسوق و غير ذلك .

دعوتُ إبليسَ ، ثُمَّ قلتُ لـــهُ في خلْوَةٍ و الدّموعُ تنهـــمِرُ

أما تَرَى كيْفَ قد بُليتُ، و قدْ أقْرَحَ جفْنِي البكاءُ و السَّهَرُ[2]

اعتمادا على هذا الطرح أصبح أبو نواس عاشقا لنفسه لدرجة أنّه صار منغمسا في الملذات المحرمات إضافة إلى عقد عديدة عانى منها وهي (الجنس ، النقص ، النرجسية ، عقدة أوديب) .

لا جرم إذن أنْ نلقى أبا نواس يعاني من عقد أوديبية تجلت مظاهرها في أكثر من خاصية أدبية ، و هي تنجلي في أكثر من صورة يرفضها العقل و العُرف و الدّين ، و إذا كانت الأوديبية من وجهة نظر فرويد تعني بداية ذوات كلا الجنسين (الذكر و الأنثى) و أيضا إحدى الأبواب التي تنقل الذّات من مبدأ اللَّذة إلى مبدأ الواقع كما شكلت عقدة أوديب في نظرية فرويد الاختلافات الجوهرية للظواهر النَّفسية أو من خلالها حاول فرويد أنْ يدرس أعماق الشّخصيات الإبداعية ، و لقد توصل إلى أنّ النَّص الأدبي أو أعمال المبدع شأنها شأن الحلم فالحلقة التي تربط بين العمل الأدبي و الحلم تستمد من خلال النوازع الجنسية سواء كانت أوديبية أو إلكتراوية مكبوتة في اللاشعور ، و هنا يتفرغ المكبوت في اللاشعور في شكل رموز إبداعية فالعمل الفني و الحلم ينتجان من الرغبات الجنسية المكبوتة في اللاشعور و تجد هذه الرغبات طريقها في إيداع أعمال

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 680 .

[2] نفس المصدر ، ص 291 .

أدبية ساحرة أو في أحلام تتراءى ما كان له أنْ يحققها على أرض الواقع ، فالألفاظ السّهلة التي يسهل فهمها و حفظها ، فظهر التّكلف في استعمال المفردات و الإفراط فيها ، فإنّ هذه الأوديبية تتجسد في اضطرابه النّفسي الذي يظهر في أفعاله المخلة بالحياء تارة و ذمه لهذه الأفعال تارة أخرى ، و هذا يوضح جانبا نفسيا هو من الأهمية بما كان في نسقه المتعلق بالأدب و النتاج الأدبي ، و ما تصريحه بالمعصية و الجهر بها و من ثمة العدول عنها إلا نتيجة واضحة لقلقه النّفسي و صراعه الداخلي الذي يتضح من خلال مقولاته الأدبية .

و عليه يمكننا القول بأنَّ أبا نواس كان غير راض عن نفسه و غير مستقرا داخليا ، فقد لعبت البيئة التي نشأ فيها دورا بارزا في معاناته النفسية و نرجسيته الحادة ، و هذا واضح من انفصام شخصيته حسب العقاد و التي تتجلى في تخبطه الدائم بين الزهد تارة ، و التهتك و التحلل الأخلاقي تارة أخرى .

و بالرغم من كل هذه الثّورات التي سادت في العصر العباسي و التي كانت على يد أبي نواس فلا ننسى أنّ هناك شعراء آخرون تمردوا حول ما جاء به الشاعر نذكر منهم أبو تمام الطائي الذي أظهر تمردا واضحا على الأطلال في سعيه الحثيث على الخروج عن النمط الأدبي السائد ، و ذلك باستحداث مقدمة جديدة تنوب عن المقدمة الطللية و في الوقت ذاته تنسجم مع روح العصر و تواكب تطور الحضارة ، " و ما زال يجرب و يحاول حتى استقر في نفسه أنه لابد أن يستبدل بها أوتارا حديثة لكي تؤدي الغاية المطلوبة منها. فتناول في حديثها الألوان المستحدثة من المقدمات من وصف مناظر الطبيعة الرائعة التي يكتسي بها وجه الأرض في الربيع بأزهارها وورودها و رياضها ... و بذلك أخذ يستمد بعض مقدماته من صور الطبيعة الفاتنة التي تهفو النّفوس جميعها إليها ، و تسعى إلى المتعة بها و بذلك أيضا استطاع أنْ يجد في نفسه مخرجا من المأزق الحرج الذي وقع فيه أبو نواس حين دعا إلى نبذ الوقوف بالأطلال الدائرة في افتتاحيات القصائد ، و الاستعاضة عنه بوصف الخمرو مجالسها [1]" . و حول هذا ذكر الآمدي ما جاء به أبو تمام من ترك البكاء على الديار و النهي عنها، قائلا :

إنْ كانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلالُــهُمْ سَبَلَ الشُّؤونِ فلَسْتُ مِنْ مَسْعودِ

أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَـــاؤُها بالدَّمْعِ أنْ تَزدادَ طَولَ وُقُـــودِ

لا أُفْقَرُ الطَّربَ القِلاصَ و لا أُرَى مَعْ زيرِ نِسْوَانٍ أَشُدُّ قُتُـــودي [2]

[1] حسين عطوان ، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، مصر ، د. ط ، 1974 ، ص 81.

[2] حبيب بن أوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، ص219.

لم يخضع أبو تمام نهج واحد فقط في استهلال قصائده ، بل تناول العديد من الصّور عبر من خلالها عن مشكلات العصر و قضاياه ، و كانت أشعاره تتماشى مع الأسلوب المباشر ، و على هذا الأساس نذكر قصيدة من قصائده التي افتتحها بالمديح ، يقول و هو يمدح أبو سعيد بن يوسف الثغرى:

مِنْ سَجايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبـا فصَوابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أنْ تَصُوبـا

فاسأَلَنْها و اجعَلْ بُكاكَ جَوابًا تجِد الشَّوْقَ سائِلًا و مُجيبــا

قد عهِدنا الرسُوم و هي عكاظ للصِبى تزدهِيك حُسنا و طيبا [1]

نلاحظ أنّ الشّاعر أبو تمام بالرغم من أنه تمكن من تجاوز المدح التّقليدي و المقدمة الطللية ، إلا أنّه ظلّ متماسكا بالذّوق التّقليدي من الموروث على عكس أبو نواس الذي تخلى عن كل ما هو قديم ، فأبو تمام كان رجلا حضريا ، ذو ثقافة غير محدودة و صاحب مذهب جديد في شعره ، بحيث امتاز بذكاء و فطنة فعن الصولي: " كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنّه كان قد علم ما يقول ، فأعدّ جوابه "[2] أما الحديث عن الجانب النفسي فقد كان أبو تمام قوي الإحساس و الدّقة من ناحية دراسة شعره فقد جعله مرتبط باللّذة التي تصيب القارئ من شعور نفسي ممتع فقال :

ألذ من السلوى و أطيب نفحة من المسك مفتوقا و أيسر محملا [3]

فليس من الغريب إذن أنْ يتبنى أبو تمام خصائص أدبية و جوانب فنية تثرى الدرس الأدبي من خلال فصاحة لفظه و تماسك معناه ، فثراء نصه الشّعري الذي يظهر في صوره البيانية تعبير عن تمكن الشاعر أبي تمام من أدوانه الأدبية و الايديولوجية و النفسية فقوله " تعبيرا عن ثقافة هذا الشّاعر . فهذه الخصائص الأدبية القشيبية ما هي إلا انعكاس لإديولوجية عارفة بالمحيط الفكري و المعرفي .

أما الحديث من النّاحية النّفسية للشاعر أبي تمام فقد كان قوي الإحساس و الدقة ، برز من خلال حبه و شغفه في الحصول على العلم و المعرفة ، فهو أول من اهتم بالنظر لنفسه ثم إلى شعره ، تميز بصفتين بارزتين و هما الصبر و لوعه بشخصيته ملهمة و متأثرة بشعراء سبقوه فيقول :

[1] حبيب بن أوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، ص 132 .

[2] أبو بكر الصولي ، أخبار أبي تمام ، تحقيق : خليل محمود عساكر و زميليْه ، دار الآفاق الجديدة ، القاهرة ، ط04 ، 1980 ، ص 72 .

[3] ابن أبي عون ، التشبيهات ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دار صادر للطباعة و النشر ، لندن ، ط 1 ، 1950م ، ص 224 .

دَعيني على أخْلاقِيَ الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الوَفْرُ أوْ سِرْبٌ تُرِنُّ نَوادِبُهُ [1]

على الرغم من رزانة أبي تمام و سعة ثقافته إلا أنّنا سجلنا على شعره بعضا من التعالي الذي يظهر من خلال أشعاره ، زيادة على ذلك تباهيه بإمكانياته المتطلعة في صنعته ، و من هذا الصدد فإن أبا تمام لم تكن نفسيته ظاهرة كثيرا على عكس نفسية أبي نواس و نرجسيته ، بل كانت محاطة بالتعالي و التعاظم كما ورد في قصيدته :

خُذْها مغَرّبة في الأرْضِ آنســـــَةً بِكُلِّ فَهْمٍ غريبٍ حينَ تَـــــغْتربُ

لَا يسْتَقى مِنْ جَفِيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُها و لم تَزَلْ تَسْتَقِي من بَحْرِها الكُتُبُ

حَسِيبةٌ في صَمِيمِ المَجْدِ مَنْصِــبُهَا إذْ أكْثَرُ الشِّعْرِ مُلْقَى ما لَهُ حَسَبُ [2]

و إذا كان الشّاعران السابقان تجاوزا المقدمة الطللية فإنَّ أبا العتاهية لم يتوقف عليها بل جدد على النّمط الشّعري القديم ، إذ وقف في قصائده على ذكرياته و الاستمتاع بها ، فوردت هذه في قصيدة مدح بها الخليفة الهادي يتذكر شوقه إلى صغره :

لَهْفي على الزَّمَنِ القصيرِ بَيْنَ الخَوَرْنَقِ و السّــديرِ

إذ نحنُ في غُرَفِ الجِنــا نِ نَعُومُ في بحرِ السُّرورِ

في فتية ملكوا عنـــــان الدهر أمثال الصــقــور [3]

أيضا :

و إلى أمينِ الله مهْرَبُــــ نا من الدَّهر العَثُـــورِ

و إليْــه أَتْعبْنَا المَطَــا يــا بالرّواح و بالبُــكورِ [4]

دفعت هذه التّجديدات بالشّاعر إلى تغيير من حالاته النّفسية إلى ميول في سلوكاته ، فقد أصبح متشبها بالنساء حينما كان يتخنث ، و تتأكد هاته الرؤى النّفسية التي كان يعانيها أبو العتاهية من اضطراب مبعثه

[1] حبيب بن أوس الطائي ، ديوان أبي نواس ، ص153 .
[2] نفس المصدر، ص 167 .
[3] أبو العتاهية ، الديوان ، ص 115 .
[4] نفس المصدر، ص 115 .

الصراع النفسي ، لأنّه ولد مزوَّد بطاقة من عنصر الرعب الذي توارثه أبا عن جد حيال الوضع الاجتماعي و هذا ما برز في شعره :

قال ابنُ مَعْنٍ و جَلا نَفسَـهُ على القَرابين من الأهـــلِ

أنا فتاةُ الحيّ مِنْ وائِـــــلٍ في الشَّرَفِ الباذخِ و النُّبْـلِ

ما في بنى شَيبانَ أهلِ الحِجَى جاريَةً واحدَةٌ مِثْـــــــلي[1]

و بعد انتقاله إلى بغداد ذاع صيته و أصبحت له منزلة في القصر ، و كان هذا سبب من الأسباب التي جعلته يغير من تصرفاته و أخلاقه و آثاره النفسية السابقة (التخنث) ، و لا ننسى أنّه من الواجب علينا ذكر إحساسه الصادق لتطور مراحل حياته السيكولوجية و الوجدانية ، و شرع حياته العاطفية بأنه عشق جارية ذات تفاصيل فاتنة لقوله :

من كان يزعم أنْ سيكتم حبه أو يستطيع الستر فهو كذوب

الحب أغلب للفؤاد بقهـــره من أنْ يرى للسرفيه نصيـــب

فإذا بدا سر اللبيب فإنـــه لم يبد إلا و الفتى مغلـــوب

إنّي لأجهل ذا هوى متحفـــظا لم تتهمه أعين و قلـــــوب[2]

و كل ما تطرقنا لدرسته عن الدواخل السيكولوجية لأبي العتاهية فليس لنا دليل صريح عليه و لكننا نستنتج مما عرف عن أبي العتاهية من حب المال و الحرص على الدنيا ، و لم يكن شديد الميل إلى الإنفاق في سبيل الشهوات[3] " .

و بناء على هذا المنظور فقد خرجت الثورة و التمرد على مقدمات القصيدة القديمة بالتجديد فيها ، فولدت امتزاج الحضارات و الثقافات المختلفة ، حيث بروز التطور كان لابد منه لأنّ عوامل التجديد و أسبابها فرضت تواجدها حيال هذا العصر على نحو أجبر التغيير في التفكير و نمط العيش .

[1] أبو العتاهية ،الديوان ، ص206 .

[2] نفس المصدر ، ص 26 .

[3] ينظر ، شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، ص 250

ثانيا- السّجن و أثره النّفسي و الأدبي في شعر أبي نواس:

و إنْ كنت قد تطرقت إلى التّمرد عند أبي نواس في ما سبق فإنني في هذا العنوان سأعالج تمردا من نوع آخر لاحظته في فضاء السّجن و الذي لم يكن رادعا و لا زاجرا و لا مانعا أمام تصرفات أبي نواس التي اتّسمت بالخروج عن الأعراف ، فما كان هذا الفضاء بما يعنيه من ضيق و تضييق إلا عاملا إضافيا على زيادة مجونه و فسقه في هذه المرحلة الخطيرة من حياته و خاصة في بدايات سجنه قبل أنْ تطول به مدة مرحلة السّجن و التي أثرت في نفسه تأثيرا جعلته يعيد حساباته ، فها هو يقول و مستعطفا الخليفة و معلنا توبة نصوحة :

يا رَبّ إنَّ القَوْمَ قد ظَلَمونـــي و بلا اقترافِ مُعَطِّلٍ حبَســوني

و إلى الجُحودِ بما علَيهِ طويتي رَبّي إلَيك بكذْبهمْ نسَبُـــــوني

ما كانَ إلاّ الجَرْيُ في مَيدانهـــمْ في كلِّ خزْيٍ ، و المجانةُ دِيـني [1]

هذه الأبيات تجمع من الخصائص الأدبية ما تجعل هذا المكتوب جميلا و قشيبا فهو يجمع بين صور أدبية متباينة و متفاوتة و كأنّها عرض سينمائي يظهر فيه صور الاستعطاف بإيقاع موسيقي غاية في الجمال و هي تتجلى في المحسنات البديعية خاصة السجع (ظلموني ، حبسوني ،نسبوني).

زد على ذلك صور الرجاء الذي يتوجه إلى جهتين مختلفتين ، فمن جهة يتوجه بالخطاب الأدبي إلى الخليفة و من جهة أخرى يتوجه بالدعاء إلى السماء .

و لو قابلنا هذه الصّورة الأدبية بما تحمله من خصائص أدبية و نفسية و قابلتها بما كان عليه قول أبي نواس و هو يعلن جهارا نهارا عن فسقه و مجونه و جمعناها في موضع واحد لتبين لنا مدى مقدرة هذا الشّاعر على الوصف و قول الشّعر :

دع المسَاجد للعباد تسكنهـــا و طف بنا حول خمار ليسْقينا

ما قال ربك ويل للذين سكروا و لكـــن قـــــال ويــل للمصلينا [2]

و بالعودة إلى السّجن فإننا نجد أن شعر أبي نواس و هو في السّجن يختلف عن أدب أبي نواس قبل السجن إذْ أصبح أدبه مفعم بالأدبية و الشّعرية الممزوجة بالقيم الفنية و الأدبية و الأخلاقية التي تسُم الإنسان المتشبث

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 663 .

[2] نفس المصدر ، ص625 .

و لذلك فرؤية الشّاعر هنا كانت واضحة و محددة، حيث كان صريحا في تحديد المخاطب في قصائده، فصار يرسم الصّورة التي هو عليها في السّجن رسما دقيقا، فقد قدم تجربة صادقة واضحة صرح من خلالها بعواطفه و أحاسيسه ، فهي تجربة قاسية في حياته :

تذكّرْ أميرَ اللهِ ، و العهدُ يُـذكَـــــرُ مَقامي ، و إنْشادِيكَ ، والناس حُضّرُ

مضتْ لي شهورٌ مذ حبسْتُ ثلاثــةٌ كأنّيَ قد أذْنَبْتُ مــا ليس يُغْفَـــــــرُ

فإنْ كنْتُ لم أُذْنِبِ، ففيم حَبَسْتني؟ و إن كنْتُ ذا ذنبٍ فعفــوكَ أكـــْــبَرُ [1]

لا يتوانى الشّاعر أبو نواس في هذه الأبيات من تقديم صورة أدبية متمثلة في التشبيه تجمع ما بين ما هو نفسي ، و بين ما هو أدبي ، فهو يشبه نفسه و هو يوجه الخطاب إلى الخليفة بمن أذنب و لكن لا يمكن أنْ تغفر ذنوبه و هذا فيه دلالة أدبية تدل على السّخرية ، على أساس أنّه أذنب و لن تغفر ذنوبه على أخلاق غيره ممن أذنبوا و غفرت ذنوبهم . و لذلك هو يقدم هذه الصورة الأدبية التي تشي بالتشبيه للوصول إلى هدف الحرية ، و هنا تكمن أهمية هذه الخصائص الأدبية في شعر أبي نواس ، فهذا التوظيف الأدبي لم يكن من قبيل الصدفة و إنما كان مقصودا في ذاته . فهو يقول هذا من أجل أنْ ينال ذاك ، و هنا تظهر مزية الجمع بين الخصائص الأدبية و المشاعر النّفسية .

هنا أجد أنّ نفسية الشاعر مندفعة طالبة للحرية ففي قوله (أذنبت ما لا يغفر) تعبر في اللاوعي عن حزن الشاعر ، دلّت هذه الكلمة في طياتها على الحزن و التّوق للحرية و لكن كما أشرنا بخاصية أدبية استطاعت أنْ تعبر عن هذا التّوق للحرية .

إنَّ أهمية تغير الخصائص الأدبية بما ينجر عنها من تغير في الصور و المحسنات و المقولات لا تقتصر فقط على التغيير من أجل التغيير ، و إنما ينجر عنها أيضا تغيير على المستوى النّفسي و الإيديولوجي و العقدي .

فالتغير النّفسي و المعرفي يقود إلى تغيير على المستوى الأدبي ، كما يقود التغير في المستوى الأدبي إلى التّغيير النفسي.

و على هذا الأساس ، يسجّل المتلقي تباينا في شعر نتاج أبي نواس قبل التّوبة و بعدها من جميع النواحي فإذا كان شعر المجون يقتضي الاندفاع و الإقدام بدن رقيب و لا حسيب و ما يصحبه من صور أدبية مندفعة

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 307

بالحماسة و الأصوات المجهورة، و كثرة التوصيف و تباين الإيقاع، فإنّ أدب الزهد على العكس من ذلك يتصف بالحكمة و التؤدة و الأصوات المهموسة و الإيقاع الرصين، و الصور البلاغية و البيانية المعبرة، و من هنا فإننا نجد الألفاظ التي كان يستعملها الشاعر تختلف عن ألفاظه التي سلف ذكرها و هو يتصف بالمجون فقد انعكست الأحاسيس على نفسية الشّاعر و شعره حيث استعمل الألفاظ الأقل جهرا في السّجن على غرار الألفاظ المهموسة فانقلبت شخصية الشّاعر من شخصية تتَّسم بالدعابة و الفكاهة و اللّهو و الخمر إلى شخصية رصينة هادئة مؤمنة بالله باحثة عن الخروج من الوهم و التّوهم هذا ما جعله يتأمل في تسلسل الأيام و قوالبها نحو الفناء بنظرة الحكيم المؤمن، فيقول في مقطوعة منفجرا بالبكاء معترفا بالذّنوب :

أيا مَنْ ليس لي منه مُجِـــيرُ ، بعَفْوِكَ من عذابِكَ أسْتجِـــيرُ

أنا العبْدُ المقِرّ بكل ذنْـــبٍ و أنتَ السّيدُ المؤْلى الغَفُـــورُ

فإنْ عذّبتَنِي فبسُوء فِعْـــلِي و إنْ تغفِرْ ، فأنتَ به جديـــرُ

أفِرّ إليكَ منكَ ، وأيـن ، إلا إليكَ يفِرّ منْكَ المسْتـــــجيرُ [1]

تعبر هذه الأبيات من منظور الخصائص الأدبية عن استعمال أغراض أدبية عديدة و لعل أهمها توظيف الاستفهام بغية الوصول إلى المعنى المراد إيصاله ، و هذا التّوظيف مهم من الناحية فهو حيلة معروفة في مثل هذه المواضيع الفكرية و الإيديولوجية . و من خلال تأملنا لهذه الأبيات نجد أنّ صاحبها قد قذفت به بمشاعر ملتهبة و دواخل مؤمنة ترغب في اللجوء إلى الله و البكاء على أعتابه ، و حتى أنّها تحرك مشاعر القارئ و تؤثر فيه ، مذكرةً إيانا بعظيم غفلتنا عن الله عز وجل و تبعث في نفوسنا رغبة و رهبة و أملا في رحمة الله بعباده . و لعل هذه الرصانة الأدبية المفعمة بالمعاني لم تكن لتخرج بهذه الخصائص لو لم يسبقها تمرد الشاعر أبي نواس على المستوى الأدبي و الديني و الأخلاقي ، و كأن التمرد هو من أعطى شعر أبي نواس بعد التوبة الشرعية الأدبية الحكمة و الرصانة .

و من هذا المنطلق نجد أن الشّاعر انتقل من مرحلة إلى أخرى ألّا و هي الزهد في الحياة حيث ناجى ربه قائلا :

إلهي لست للفردوس أهلا و لا أقوى علي النار الجحيم

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 346 .

فهب لي توبة و اغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيـم [1]

تتجلى قمة المناجاة و الركون إلى الله عز و جل و التضرع إليه و ما يدل على ذلك لفظة (فهب لي توبة) فالشّاعر حتى بعد ما توفته المنية ترسخت رسالته إلينا مفادها أن من يجعل الدنيا منتهى سؤاله و غايته حتما سيخسر الكثير داعيا إيانا في التّأمل و التدبر هذا ما لم يفوته أبي نواس كقيمة في شعره يتخذ منها وسيلة لإيقاظ نفسه من غفلتها .

و بخلاصة الكلام عن عقيدة أبي نواس ننهي هذه الفقرة المدروسة عن الشاعر أنّه لا يصح لنا إلا قول كلمة خير تكون قولا صادقا في حق الشاعر ، فالآفة عنده كانت آفة شر و أذى ، فقد كان إدمانه الخمر هوسا و لم يكن مجرد عادة أو لذة و لابد وراء كل هوس عقدة نفسية ، يقول الناقد محمد البهيتي :" إنّ أبا نواس يجتمع فيه النور و الظلمة ، و الخير و الشر ، و الإيمان الغامر ، و الفسوق المستهتر ، و إذا كان أبو نواس قد قال في الخمر و المجون ، و أبدى من نفسه ذلك الجانب العاري ، فإنّه أيضا قد جد فأحسن الجد ، و تعبد فأحسن العبادة ، و تاب فأحسن التوبة [2] " .

فلم ينتهي المطاف بأبي نواس عن ثورانه على التقاليد و رؤيته للخمرة شخصا حيا يعشق ، و إلهة تعبد و تكرم ، على عكس ذلك سعى جاهدا للتوبة و ظل يناشد الله في قصائده معبرا عن ندمه على ما كان يتناوله في قصائده ، فكل هذا نجم عن آثار ندمه و وعيه بما كان يفعله ، إذ أطلق أبو نواس العديد من القصائد في التّوبة و الندم لكنها للأسف لم تحض بالذيوع كما حُضيَّ شعره بالمجون .

استطاع الشّاعر أبو نواس أنْ يعبر عن مكبوتاته النّفسية التي تمثلت في إدمانه الخمرة بصور بيانية و محسنات بديعية اللتان تعدان من أهم مقومات القصيدة التي لا يمكن لأي شاعر الاستغناء عنها ، لأنّها وسيلة حية في تجسيد تجربته و لا يمكن الوصول إلى المعنى دون الصّورة الأدبية ، و هذا ينقل المتلقي من ظاهرة المجاز إلى الحقيقة . لقد وظف أبو نواس العديد من هذه الصور في شعره الماجن على سبيل المثال في وصفه للخمرة فيقول :

فالخَمْرُ ياقوتةٌ ، و الكأسُ لُؤْلُؤةٌ من كَفِّ جارِيَةٍ مَمشوقَةِ القَدّ [3]

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 562 .

[2] نجيب محمود البهيتي ، تريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د. ط ، 1950 ، ص 481 .

[3] أبو نواس ، الديوان ، ص 180 .

شبه هنا الشّاعر الخمر بالياقوت ، و الكأس باللؤلؤ ثم وصف السّاقي ، و هنا يتضح تشبيهان بليغان : أولهما : قول الشاعر (فالخمر ياقوتة) ، شبه الخمر بالياقوتة و حذف الأداة و وجه الشبه ، و ثانيها : قوله (و الكأس لؤلؤة) ، شبه الكأس باللؤلؤة و ذلك لشدة بياضها و نصاعتها و حذف الأداة و وجه الشّبه أيضا ، من خلال هذا بدى الأثر الفارسي في الصّورة من خلال إضفاء اللمعان عليها . و من ثمة فإنّ هذه الصورة الأدبية كانت لها المقدرة على التّعبير عن هذا التّمرد خاصة و أنّ الشّاعر أبي نواس كانت له القدرة المعرفية و الأدبية على نقل التّمرد بصور جمالية قشيبة .

يذهب كذلك إلى بعض الصور الأخرى و هي الاستعارة التصريحية " و هي التي يحذف فيها المشبه (المستعار منه) و يصرح بالمشبه به (المستعار منه) "[1] . ليصرح في قوله بالمشبه به و هو (صديقة الروح) و يحذف المشبه (الخمرة) ، إذْ يقصد هنا أنّ الخمرة هي قوام الروح و الجسد :

و صَديقَةِ الرّوحِ التي حُجِبَتْ عَن ناظرَيكَ، و قيّم الجسْمِ [2]

إن توظيف هذه المحسنات في موضع التّمرد كان مقصودا و ذلك حتى يظهر هذا التّمرد في أبهى صوره فاستخدم أبو نواس في أشعاره هذه المحسنات البديعية (الطباق، الجناس، المقابلة ...) ليوَّلد ذلك الوزن المستعمل تأثيرا في عقل المتلقي حسب إيقاع مدروس، و ذلك حتى يؤثر في العاطفة و الوجدان و من هذا المنظور استعمل أسلوبا خاصا، و بالتّالي فإنّ استعماله للمطابقة تعمل على تقوية المعنى و إفادته في ترسيخ و تثبيت الفكرة في الأذهان :

كَرْخِيّةً تترُكُ الطّويلَ من الـــــ عَيْش قصيرًا ، و تبْسُطُ الأَمَلا

تلعبُ لِعْبَ السّرَابِ في قَدحِ الـ قَوْمِ، إذا ما حبَابُها اتّصَـــلا [3]

تمكن الشّاعر من الجمع بين الشيء و ضده و جعل بينهما مناسبة ليكتمل معنى كلاهما ببعضهما "و الطباق هنا يجمع في الكلام الواحد بين معنيين متقابلين في الجملة لإعطاء الإيقاع ثري بأنغام موسيقية في الأبيات [4]" .

[1] أحمد خليل ، مدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، دار الفرقان ، الأردن ، ط 9 ، د.ت ، ص 217 .

[2] أبو نواس ، الديوان ، ص 535 .

[3] نفس المصدر، ص 487 .

[4] أبو نواس ، الديوان ، تحقيق : محمود كمال فريد ، شارع محمد علي ، مصر ، د. ط ، 1356 هـ - 1937 ، ص 348 .

إضافة إلى لغة الشّاعر السّهلة رقيقة الأداء و النغم الموسيقي و هذا ما يسمى بالإيقاع الذي يعد أساس الفنون ، بحيث يقوم على تناسب حركة الأصوات و تتابعها المنتظم و هذا ما ظهر في قصيدة أبي نواس :

يا عاقد القلب منّي هَلَّا تذكَّرت حـــلاّ

رَكتَ جِسمي عَليــل إنَّ القليل أَقَـــــلَّا

يَكادُ لاَ يَتَجـــــــزّا أقلَّ في اللفظ من لا[1]

مزج الشّاعر في قصائده بين الصور البيانية و المحسنات البديعية لم يكن عبثا ، و إنما كانت خادما له في إطراء أحاسيسه في القصيدة .

3 - فنّ المعارضات و تجلياتها الأدبية :

لطالما شكل الشّعر العباسي مادة ثرة من جميع الجوانب سواء كانت فنية أو أدبية أو اجتماعية ، فإنّ هذا النّتاج الأدبي بما يمثله من ثروة أدبية استقطب الدارسين و النقاد من أجل تحليله و تفسيره ، فيعد فن من الفنون التي برزت في شعر التّمرد أو ما يسمى بفن المعارضة ، و إذا كان هذا الأدب استرعى اهتمام النقاد من أجل التّحليل و التّفسير في هذه الدراسة فقد تبين هذا النتاج من منظور آخر ألا و هو المنظور الأدبي لما يمثله هذا الجانب من أهمية و الذي يستعين إليه من خلال دراسته للصور الأدبية المفعمة بالبيان و المحسنات البديعية التي ساهمت في بناء شعر أبي تمام على سبيل المثال ، فكان له شأن عظيم عند شعراء سبقوه بل و العرب عامة فاستخدم الجناس و الذي" يقال له التجنيس و التجانس و المجانسة و لا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ و المعنى ، مثل مصنوعة مطبوعة مع مراعاة التنظير [2] " حيث قال في بيت ينتسب له :

نَوَارٌ في صَواحِبها نَـــــوَارُ كما فاجاكَ سِرْبٌ أوْ صِوارُ[3]

اعتمد في هذا البيت على الجناس التام في كلمتي "نوار و نوار " فشبه محبوبته بين صويحاتها بظبية بين سرب ظباء، و ظهر جناس آخر و هو "صوار ، نوار " و هذا ما نسميه بالجناس غير التام، إذ تجلت هذه الصورة الفنية في تقوية معناه و توضيحه بشكل أدق .

[1] أبو نواس ، الديوان ، ص 514 .

[2] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، د.ت ، ص 325 .

[3] حبيب بن أوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، ص 315 .

نضيف على هذا الاستعارة و التي كانت وسيلة بناءة للقصيدة العربية، و لون من ألوان البيان، كما أنّها رمز على التخيل و أسطورة على التمثيل و التي تعرف على أنّها" من أدق أساليب البيان تعبيرا و تأثيرا و أجملها تأدية للمعنى و هي الأصل تشبيه و مضمر في النفس[1] "، و جاء أيضا في كتاب الكامل للمبرد قوله: "العرب تستعير من بعض لبعض[2] "، نجد هنا أنَّ أبا تمام يعتمد على هذه الصّورة الأدبية القوية لتجسيد المعنى و تقويته، لقوله:

كُلُوا الصَّبْرَ غَضّاً و اشْرَبُوهُ فإِنَّكُمْ أَثَرْتُمْ بَعِيرَ الظُّلْمِ و الظُّلْمُ بارِكُ [3]

فالاستعارة هنا تكمن في جعل الظلم بعيرا باركا في مبركه ، فنجد فرقا واضحا بين البعير المثار واقفا و البعير المثار باركا، فمن خلال هذا جسد الشّاعر الصّورة المعنوية في صورة مادية .

و إذا كانت المحسنات تعبر عن المتقابلات فإنّها أفضل ما يصور شعر المعارضات لأنّنا نجد فيه من الناحية الأدبية الفنية تعارضا على مستوى الأفكار و الإيديولوجيا .

لقد جدد أبو تمام في شعره خلافا للشعراء السابقين من حيش كونه كان شاعرا معارضا، فكان لا يستخدم الطباق من حيث هو طباق، و لا مقابلة من حيث هي مقابلة، بل كان يمزج بين هذه الألوان لأنه لم يكتف بالصورة البسيطة و لكنه كان يخرجها إخراجا مختلفا، و هذا ما ظهر في أبيات له يمزج فيها الجناس و الطباق بين حين و آخر :

كُلِّ يَـــــــوْمٍ لهُ و كُلِّ أوانٍ خُلُقٌ ضاحِكٌ و مالٌ كئيبُ [4]

بدأ هنا بالطباق و ذلك لخدمة التصوير ، إذ أراد الشاعر أنْ يصوره بحسن الخلق و التضحية بالمال و قوله أيضا :

ألبست فوق بياض مجدك نعمة خلق ضاحك و مال كئيب [5]

ينغمس الطباق هنا بين السّواد و البياض في لون آخر و هو دقة التصوير .

[1] سليمان عيسى ، الأسلوبية و البلاغة العربية ، دار البداية ، د.ط ، 2011 ، ص 198 .
[2] المبرد ، الكامل ، تحقيق : تغاريد و نعيم زوزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، ج 1 ، د.ت ، ص 274 .
[3] حبيب بن الأوس الطائي ، ديوان أبو تمام ، ص 458 .
[4] نفس المصدر، 180 .
[5] نفسه ، ص 180 .

استطاعت هذه الصّور و التشبيهات بشتى أنواعها التّعبير بصورة فاعلة عن مكبوتات الشّعراء، فقد كانت لها دور كبير عند أبي تمام فتجديد شعره كان يطمح للأفضل رافضا الواقع بكل ما يحمله من سلبيات و تقليد كما جعل له بصمة في التّغيير على غرار القدامى الذين قدّسوا المقدمات الطّللية .

إذا نظرنا أيضا إلى شعراء آخرين فنجدهم قد أبدعوا في نظم شعرهم من الناحية الأدبية ،فقد احتل أبو العتاهية مكانة راقية في طريقة كتابة شعره و هذا ما يظهر من خلال بساطة و سهولة في ألفاظه و البعد عن التعقيد و التركيب ،فكادت سمات شعره العامة تتضمن الجزالة اللفظية .

لم يقتصر أبو العتاهية في ثورته عند حد المقدمة الطللية ، و إنما تجلت أيضا في الأعاريض و الأوزان التي يكتب فيها العرب شعرهم ، و التي تُعد خاصية من خصائص شعره ، و من خلالها كسر كل الأسوار عندما صاغ شعره في قوالب جديدة لم يطرقها الشعراء قبله بتوظيفه لمثل هذه الصّور الأدبية و المحسنات البديعية التي سبق ذكرها و التي أبانت عن كفاءة في الإبانة عن التّمرد ، فيقول أبو الفرج : " و له أوزان طريفته قالها مما لم يتقدمه الأوائل منها [1] " ، و مثال على الأوزان التي ابتكرها قوله :

عتــب ما للخيـــــال خبرينى و مـــــالى

لا أراه أتـــــــــانى زائرا منذ لـــــيالى

لـــو رانى صـــــديقى رق لى أو رثى لـــــى

أو يــرانى عـــــدوى لان من سوء حالى [2]

تبدوا هذه الأوزان و القوافي متمتعة بموسيقى داخلية نابعة من نفس الشاعر ، إذ كان يحس بنظمها حينما يتحدث شعرا .

نجد خاصية أخرى ابتكرها الشعراء العباسيين و هي ابتكار المعاني و دقتها و استقصائها الذي لا يعد و لا يحصى ، و هذا بسبب كثرة مشاهدتهم و تنوع ثقافتهم ، فاتصفت بالجمال و الإبداع ، يقول بشار بن برد و هو يتحدث عن عشق الأذن :

يا قَوْمِ أَذَني لبَعْضِ الحيِّ عَاشِقَةٌ و الأُذُنُ تَعْشَقُ قبْل العينِ أحيَانا

[1] أبو الفراج الأصبهاني ، كتاب الأغاني ، المجلد الرابع ، دار الكتب ، مصر ، د. ط ، د. ت ، ص 4/ 4 .

[2] أبي العتاهية ،شرح : وفاء الباني قمر ، ص 203 .

قَالوا بمَنْ لا تَرَى؟ قلت لــهــم الأُذُن كالَعينِ توفِي القَلبِ ما كانا [1]

هنا الشّاعر يستقصي المعنى ، و يذهب أيضا إلى قوة التصوير و براعة الخيال و هذا نتيجة العقلية التي أثرت في خيال الشاعر العباسي لقوله و هو يصف الجيش و القتال و يبدع أكثر من إبداع البصرين :

و جيش كجنح الليل يزحف بالعصى و بالشوك و الخطي حمر ثعالبه

غدونا له و الشمس في حذر أمـــــها تطالعنا و الطل لم يجر ذائبة [2]

ارتفعت معاني الشّعراء العباسيين و أحسنوا و أبدعوا في شعره من خلال صنعتهم الأدبية من تشبيهات و مجاز و وضوح و استعارة و كناية ... إلخ ، فمالوا إلى استخدام البديع أحيانا ، إذن فالعصر العباسي هو أزهى عصور الأدب على الإطلاق .

[1] بشار بن برد ، الديوان ، تقديم : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ط 2 ، 2010 م ، ص 109-110 .

[2] نفس المصدر ، ص 415 .

الخاتمة

و ختاما لموضوع مذكرتي التي تعرفت فيها عن ظاهرة من الظواهر التي طرأت على الشّعر العربي بالعصر العباسي على المستوى الأدبي و الإيديولوجي و ما صحبه من تغيرات خاصة ظاهرة التّمرد التي مست جُلَّ المناحي ، و من خلال هذه الدراسة توصلت إلى مجموعة من النتائج و هي كالتالي :

- يعد التّمرد وسيلة للتعبير عن رفض كل ما يمثل سلطة و قيد .

- تعدد أنواع التّمرد في العصر العباسي (الفني ، النفسي ، الاجتماعي ، الديني) .

- إبانة الشّعراء العباسيين لثورتهم و تخليهم و تهكمهم للمقدمة التقليدية و استبدالها بمقدمات جديدة خاصة تمرد أبي نواس و ثورته على كل ما يمثله قديما .

- تمتع أبو نواس بعلم و مكانة مرموقة في شعره خلال خمرياته و اللاحقين شهدوا بعلمه .

- أثر نفسية الشّعراء على النتاج الأدبي و انعكاسه على التّمرد من الناحية النّفسية .

- كما سجلنا في هذا الصدد كثرة التهكم و السّخرية و الانقلاب على الشّعر التقليدي و الاستنجاد بالبدائل الجديدة مثل شخصية الشاعر بشار بن برد الذي انقلب على جميع الأوضاع سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو دينية .

- التّطرف في التّمرد الذي سجلناه عند أبي نواس و الذي أدى به إلى السّجن في أواخر حياته .

- ملاحظة التغيير بين القصيدة أثناء الحرية و القصيدة من وراء القضبان ، لنجد أنّها ولدت مادة دسمة للدراسة النّفسية و الوجدانية لأبي نواس ، و عبرت عن خلجاته النّفسية و مكبوتاته ، إذْ كانت أكثر تأثيرا في حياته .

- لم يكن سجن أبو نواس عقابا ، بل كان سبيلا لتحرره من مجونه و فسقه و فراغه الروحي لنجده زهد باكيا في أعتاب الله .

- استخدم المتمردون من الشعراء أساليب فنية جسدت واقعهم المعيش و أعطت صورة متحركة تعبر عن ذلك .

- استطاع النص الشعري عند شعراء التمرد أنْ يحقق حضورهم على مستوى الشعر العربي القديم و أنْ يرفع بأسماء أصحابها بين طبقات الشعراء المجددين .

- الصور البيانية و المحسنات البديعية كانت عاملا مساهما في تصوير شعور و خلجات الشعراء آنذاك .

- سطوع العصر العباسي كونه عصرا شهد التجديد و أقام القصيدة القديمة للتقدم و الرقي .

و هذه أبرز النقاط التي توصلت إليها دراستي لهذا الموضوع متأملة أن أكون قد حققت ما تصبو إليه هذه النتائج من أهداف ، فإن حققتها و إلا فحسبي أني طالبة أخطئ و أصيب و الحمد لله رب العالمين من قبل و بعد .

-وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم -

قائمة المصادر والمراجع

قائمـــــــة المصـــــادر و المراجـــــــع :

1- ابن أبي عون ، التشبيهات ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دار صادر للطباعة و النشر ، ط 1 1950.

2- ابن كثير القرشي ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط01 ، 2000 .

3- أبو العتاهية ، الديوان ، تحقيق : عمر الطباع ، دار الرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط 01 ، 1997.

4- أبو العتاهية ، الديوان ، شرح : وفاء الباني قمر ، إشراف : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ط01 ، 2003م .

5- أبو الفراج الأصبهاني ، كتاب الأغاني ، المجلد 04 ، دار الكتب ، مصر ، د. ط ، د.ت .

6- أبو بكر الصولي ، أخبار أبي تمام ، تحقيق : خليل محمود عساكر و زميليه ، دار الآفاق الجديدة ، ط4 ، 1980 .

7- أبو نواس ، الديوان ، تحقيق : محمود كمال فريد ،شارع محمد علي ، مصر ، د .ط ، 1356 هـ- 1937 م .

8- أبو نواس ، الديوان ، عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، د.ط ، 2007م .

9- أحمد خليل ، مدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، دار الفرقان ، الأردن ، ط09 ، د.ت .

10- أدونيس ، أغاني مهيار الدمشقي و قصائد أخرى ، دار المدى للطباعة و النشر ، دمشق- سوريا ، ط 01 1996 .

11- أدونيس ، الثابت و المتحول ، دار الفكر، بيروت ، ج 03 ، ط 05 ، 1986 م .

12- ألبير كامو ، الإنسان المتمرد ، ترجمة : نهاد رضا ، دار منشورات عويدات ، بيروت ، ط03 ، 1938.

13- بشار بن برد ، الديوان ، تقديم : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ط02 ، 2010م .

14- بشار بن برد ، الديوان ، تقديم : صلاح الدين الهواري ، منشورات دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، ج 03 ، ط 01 ، 1998 .

15- بشار بن برد ، الديوان ، شرح : محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للنشر و التوزيع ، الجزائر د .ط ، 1976 م .

16- حبيب بن الأوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، تحقيق : د. محي الدين صبحي ، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ج01 ، ط 01 ، 2009 .

17- حسن كامل الصريفي ، ديوان البحتري ، دار المعارف ، القاهرة ، مج 01 ، ط 02 ، 1119 .

18- حسين عطوان ، الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ط 01 1984 م .

19- سليمان عيسى ، الأسلوبية و البلاغة العربية ، دار البداية .د.ط ،

20- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط01 ، 1966.

21- طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط01 ، ج 02 ، د.ت .

22- عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 03 ، 1973.

23- عبد اللطيف محمد حماسة ، اللغة و بناء الشعر ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة ، د .ط 2001 .

24- علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، السفر الثالث ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ط 01 ، 1989 .

25- عمر عروة ، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د. ط 2010 .

26- الفراهيدي ، معجم العين ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب اللبنانية العلمية ، لبنان ، مج : 04 ط 01 ، 2002 م .

27- المبرد ، الكامل في اللغة و الأدب ، تحقيق : تغاريد و نعيم زوزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ط 2 ، د .ت .

28- محمد الخفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء للطبع و النشر ، مصر ، ط 01 ، 2004 .

29- محمد يحياتن ، مفهوم التمرد عند ألبير كامو و موقفه من الثورة الجزائرية التحريرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د. ط ، 1984 .

30- مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب في العصر العباسي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م القاهرة- مصر د .ط ، د.ت .

31- مصطفى الشكعة ، الشعر و الشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 06 1994.

32- يوسف خليف ، تاريخ الشعر في العصر العباسي ، دار الثقافة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، د. ط 1980 .

المعاجـــــــــم :

1- إبراهيم و أنيس و آخرون ، **المعجم الوسيط** ، القاهرة ، ط 02 ، 1492-1972 م .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج: 03 ، 1955 .

3- أحمد رضا ،معجم متن اللغة ،موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، مج :05 ،ط5 ، 1990 .

4- جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ،ط 02 ، 1982 .

5- عبد النور جبور ، سهيل إدريس ، المنهل قاموس فرنسي عربي ، دار الآداب ، بيروت ، د .ط ، 1980.

الروايـــــات :

1- نزيه أبو نضال ، تمرد الأنثى ، رواية المرأة العربية و بيبلوغرافيا الرواية النسائية العربية ، دراسات أدب نظرية أبو نضال ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، بيروت-عمان ، ط01 ، 2004 م.

الرســـــــائل :

1- محمد أحمد العزب ، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه ، تخصص : أدب عربي قسم الأدب و النقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، أسيوط ، د.ت .

المواقـــــــــع:

maaber.somegs .com/litrature6 .htmail

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الإهـــــداء ..... /

الشكر و التقديـــر ..... /

مقدمـــــة ..... أ- ج

المدخـــل : لمحة عن العصر العبـــــاسي ..... 05 - 08

تمهـــــيد 05

أولا : تأثير الحياة السياسية و الاجتماعية على شخصية الشاعر و شعره ..... 05 - 06

أ – الحياة السياسية 05

ب – الحياة الاجتماعية 06

ثانيا : اتجاهات الشعر في العصر العباسي ..... 06 – 07

أ – الاتجاه القديم 06

ب – الاتجاه الجديد 07

ثالثا : خصائص الشعر في العصر العباسي 07- 08

أ – من حيث الموضوعات 07

ب – من حيث المعاني 07

ج – من حيث المبنى الشعري و اللفظ 08

د – من ناحية الأسلوب 08

الفصل الأول : التمرد من المفهوم إلى الأبعاد و الأنواع 10- 19

تمهـــــيد 10

أولا : مفهوم التمرد : ..... 10 – 12

أ – التمرد في اللغة ..... 10 – 11

ب – التمرد في الاصطلاح ..... 11 – 12

ثانيا : التمرد في العصر العباسي 13

ثالثا : أنواع التمرد في العصر العباسي ..... 13 – 18

أ – التمرد النفسي ..... 13 – 15

ب – التمرد الاجتماعي ..... 15 – 16
ج – التمرد الديني ..... 16 – 17
د – التمرد الفني ..... 17 – 18
رابعا : أبرز الأسباب التي أدت إلى التمرد ..... 18 – 19
الفصل الثاني : التمثلات الأدبية في شعر التمرد ..... 21 – 38
تمهـــــــيد 21
أولا : التمرد بين الرؤى النفسية و الأدبي و الرموز الأدبية 21- 29
ثانيا : السجن و أثره النفسي و الأدبي في شعر أبي نواس ..... 30 – 35
ثالثا : فن المعارضات و تجلياتها الأدبية : ..... 35 – 38
الخاتـــــمة ..... 40 – 41
قائمة المصادر و المراجع ..... 43 – 45
فهرس الموضوعـــــــات ..... 47 – 48